

سنه معالجه
وصفحان وردنه



د.أحمد خيري العمرى

الذين لم يولدوا بعد



البيان للدراسات والبحوث
www.ibtesama.com

**التحويل لصفحات فردية
فريق العمل بقسم
تحميل كتب مجانية**

**www.ibtesama.com/vb
منتديات مجلة الإبتسامة**

شكراً لمن قام بسحب الكتاب

تُنشر هذه النسخة الرقمية لكتاب الذين لم يولدوا بعد
بمناسبة شهر رمضان 1430
بإذن مؤقت بنهاية الشهر الكريم
من كل من :
المؤلف د. أحمد العمري ،
و الناشر دار الفكر ، ممثلة في الأستاذ محمد عدنان سالم
شاكرين لهما ذلك و آملين أن ينفع الله بها ..

تقى اللہ مٹا و منکم صالح الأعمال ..

العن لم يولوا بعد../أحمد عجمي العصري .- دمشق:
دار الفكر، ٢٠٠٥ .- ٢٠٨ص: ٢٠٣م .- (سلسلة ضوء
النور).

١-٢-٣٠٨١٨٠٣ - العنوان - العصري

٤ - السلسلة

مكتبة الأسد

سلسلة ضوء في المجرة

الذين لم يولدوا بعد..

أحمد خيرى العبدلى





٢٠٠٣

عالَمُ بلاَ عنف NON-VIOLENCE WORLD

الرقم الإسترالي للسلسلة: ٤٠٨٦
 الرقم الإسترالي للطبعة: ١٨٧٩، ٣١
 ISBN: 978-1-59239-470-1
 ISBN: 1-59239-471-X
 الرقم الدولي للطبعة: ٣٧٠١
 الرقم الموضوعي: ٣٧٠١
الموضوع: مشكلات المعاشرة/التربية وتنمية
السلسلة: خروج في المرة
الصون: لفتن لم يولدوا به...
الاكتف: نحمد عبودي العزيز
الطبعة المطبوعة: دار الفكر - دمشق
عدد الصفحات: ٨٢ صفحة
قياس الصفحة: ١٢ × ٢٠ سم
عدد النسخ: ١٠٠٠ نسخة
جميع الحقوق محفوظة

يتحت طبع هذا الكتاب لتو حزمه بكل طرق
 الطبع وتصومه والتقليل والترجمة ونشر
 للتراث ولنشر وطبع وتأشير ونحوها من المخرب
 إلا يذهن حتى من

دار الفكر بدمشق

برخصبة مقابل مركز الاتصال للوحدة
 ص.ب: (٩٦٢) دمشق - سوريا

فاكس: ٢٢٣٩٢١٦

هاتف: ٢٢١١٦٦ - ٢٢٣٩٢١٧

<http://www.filr.com/>
 e-mail: info@filr.com

الطبعة الأولى

رجب ١٤٢٦

ل.م ٢٠٠٣

مقدمة الناشر

حين وصلت كيّات هذه السلسلة إلى دار الفكر
لطبعتها وتقدّمها للقراء توقفت عندها طويلاً، ذلك لأنّ
فيها نفساً من نوع خاص، وأفكاراً معروضة بطريقة
خاصة.. وكل جليد يتوقف المراء عند، وينظر فيه،
ويسأله عنه، ينافيه مع غيره... يتردد، يحار، يقدم رجلاً،
ويؤخر أخرى، يخشى أن يتورع في... يخاف.

والكلمة شريف... وبعض الكلمات ترعب...

والكلمة مسؤولة... والمسؤولية لها ما وراءها...

وحين تصدر الكلمة، وتكون أحياناً كالقبلة التي
تحدث الانفجار، حين ذلك لا يمكن أن ترمع أو تسترجع.
على أن أجزاء هذه السلسلة ليست قابلة، ولا تحدث
الأذى، ولكنها أحراج قوية وضعيفة توقف النائمين، وتبه
الغافلين، وتهدي الميارى.

وربما يكون فيها صوت عالٍ وصدى عنيف... هو
صوت التحذير، وأصوات الإنذار والتذكرة.

هل تقوم كلمات هذه السلسلة بكل هذه المسؤولية؟!

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

من بعيد يأتي لزيورنا، وكل آت فريبه يقطع الوديان والجبال والسهول. يتجلوذ العدو والبحار والمحيطات، يتخلل التأشيرة والتعرفة الجمركية. لا يلقي بالأ تقلبات الأوضاع السياسية والتحشيدات العسكرية... .

من بعد يأتي لزيورنا، وكل آت فريبه تقتصر أحياناً بلوهفة، وأحياناً تقابلاً به في غمرة انشغالنا. مرة تفرح به و تستعد لزيارةه لنا، ومرة نضيق ونترقب، ونتمنى لو أخرها يوماً واحداً، وإن كان نخفي ذلك أدباً وتأدباً.

من بعد يأتي لزيورنا، وكل آت فريبه لا يخلف موعد زيارته أبداً. لكن موعده يختلف يوم أو يومين. يأتيها في السنة مرة مثل مفترب مشتاق. همكت عندها شهراً - وأحياناً شهراً إلا يوماً - كما المفتربين المشتاقين، لكن المستعجلين، يأتي إليها محلاً بالحطائب والأمتدة، قهروها إليها، ولا نكاد

نسلم عليه ونؤدي الواجب، حتى تلتفت إلى العقائب،
فتبعثر محتوياتها وهداياها الفالية، تتخصصها وتقيم
أثمانها، وتنخاصل حول تقاسها، وتنثرثر حول ذلك
طوال الوقت، وتصدع رأسه بخصوصاتها.

وعندما يذهب، تكون حقائبه فارغة إلا من مشاكلنا
وطلباتنا. لو كان مثل كل المفترضين لأقسم إلا يأتي في
السنة القادمة، لكنه لا يفعل ذلك أبداً، سيأتي في كل
الأحوال...

رغم شبع الحرب الذي يروع، ويجهله بالقرب من
حربنا، رغم صدودنا، رغم عقوبنا، رغم نسياننا
ورغم جحودنا؛ يظل يأتي إلينا ويزورنا...

إنه هناك. لعله الآن في الشارع المجلور، أو البيت
المجاور. لعله الآن قد هبط من السيارة محملًا
بحقيبه.. من بعيد يأتي إلينا، وكل آت قريب.
رمضان على الأبواب يكاد يطرقها. هلا تفتح له..

☆ ☆ ☆

ليس خطأ مطبعيًّا.

أقول لك: هذه المرة لا تفتح له..

نعم، هذه المرة عندما يأتي رمضان، لا تفتح له
أبوابك. أوصيدها جيداً. ارفع مستوى تحصيناتك. زد
من الأفعال والمتاريس. اقطع الكهرباء عن جرس
الباب.

وأحكم إسدال الستائر، وضع القطن في أذنيك؛
حتى لا تشعر بتأنيب الضمير.
ولا تفتح له.

أقول لك: لا داعي، لا تفتح له.
صدق ما أقول: لا تفتح له.

☆ ☆ ☆

إذا كنت متصل به ما فعلته في ثلاثة السابقة، لا تفتح
له.

إذا كان سيمر على حياتك كما مر في السنوات
السابقة، لا تفتح له.
لا داعي لذلك.

إذا كان سيكون مجرد رمضان آخر؛ مجرد ضيف
آخر يزورك كل سنة مرة، ويمكث شهراً لم يمضي دون
أن يترك أثراً، فلا تفتح له.

إذا كان سيكون شهراً آخر تجوع وتعطش فيه كلها،
ثم تختم وتمتلئ فيه بطلك كثيراً، فمن الآن أقول لك:
لا تفتح الأبواب.

إذا كان سيكون شهراً آخر تستقبله وانت تشتهر
عليه اذا يشتهر صليك، تستقبله وانت تدرك ان لا عهد ومواثيق
دائمة معه، فلا تفتح الأبواب.

إذا كان سيكون مجرد شهر فوري آخر، يمتد
برؤية الهلال وينتهي بروابطه أو عدم رؤيتها

فأقول لك: لا تتعجب نفسك ولا تختلفها.. ولا تفتح
الباب.

.. أقول لك: رمضان على الأبواب. يكاد يطريقها -
فاطرق براستك، وهكر، قبل أن تفتح الباب لو لا تفتحه.

☆ ☆ ☆

ولأن القضية خاسرة، إذ إنه سيسفل في كل الأحوال
من الثقوب والمسامات وفتحات الشبابيك، وربما
مواسير الماء، فإني أقترح عليك اقتراحًا آخر.
اهفع له، ولكن ليس بالضرورة الأبواب.
في كل مرة كنت تستقبله فيها، كلي ضيف آخر،
كنت تفتح له الباب.

أقول لك: ما دام الأمر سيبان، فلا داعي، إنه
سيدخل ويتجاوز الأبواب في كل الأحوال، ولن يبالى إذا
وجد لها مغلقة بـأحكام أو مشرعة مفتوحة على
مصاريعها.

ولن يماثلك على أصول (الإنجليزية).
إنه لا يريد منك أن تفرش له السجاد الأحمر، أو
تضيء له الأنوار الساطعة في الخارج.
إنه سيدخل في كل الأحوال.
فافتح له هناءً مختلفاً هذه المرة.
وليكن هناءً مبيناً.

☆ ☆ ☆

في كل مرة يستعد الناس لاستقباله يفكرون أول ما يفكرون في بطونهم، موائد الطعام والولائم التي ستتمدّد فيه، إفطاراً وسحوراً.

والاستعداد الأول - المعروف جداً - والذي يبدأ قبل دخول الشهر بفترة، هو التسوق لاحتياجات المطبع الذي يؤدي عادة إلى ارتفاع الأمساك.

لا أريد الغوص في هذا الموضوع رغم أنه منزلي شديد الإغراء، لكن أليس ذلك ما يحدث عادة، إلا يفتح الناس جيوبهم ومحالاتهم لرمضان أول ما يفعلون.

أليس الشهر مناسبة لاستهلاك - أو على الأقل إعداد - أكبر كمية ممكنة من أنواع الطعام؟

الوعاظ والخطباء الذين يتحدثون عن الصيام باعتباره ليس جوعاً فحسب، يشربون استهرازي واستفزازي. لا جوع في رمضان، خصوصاً في سنوات كهذه.

الناس لم تعد تجوع في رمضان، إنهم يمتنعون قليلاً عن الطعام، في عملية تحاد تكون أشهى بتحضير واستثارة لهم لوجوم كاسح لاحق على الطعام في موعد الإفطار.

لذلك، لا جوع حقيقياً في رمضان، الناس تشتوي الطعام طوال فترة الصوم، ثم تهجم لتلتهم عندما يحين موعد الإفطار.

وبعد ذلك الهجوم الكاسح، والملحمة الهاشمة،
يستلقي الناس وقد فقدوا قدرتهم على العراك،
ويطعنونهم تصرّف من هول الاقتحام الذي حصل..، لقد
هدم الشبع أكثر بكثير مما أذاهم الجوع.
المترافق شديد الإفراط كما ترى، لكنني لا أريد أن
أنزل إلى دون هذا المستوى..
رغم أن فيه طبقات أدنى وأدنى..

☆ ☆ ☆

الناس كما ترى تفتح لرمضان أبوابها..
أول ما تفتح جيوبها ومحافظتها، وأحياناً خزاناتها.
وهذا معلوم، لا شيء يمكن أن يهز تعاليد الطعام
المتبددة في هذا الشهر..
ثم إنها تفتح أشداقها وأفواهها. وهذا مفهوم
طبعاً.

ثم إنها وبعد ذلك تفتح أعينها، على اتساعها، في
اجترار ما فيه القنوات من مسلسلات وبرامج وتسالي
رمضانية، و يحدث ذلك في أثناء عملية فتح للأفواه
أخرى تشمل طعن المكسرات التي تزدهر في رمضان.

☆ ☆ ☆

كما ترى، الناس يفتحون لرمضان متوحثات
مختلفة..

لكنني أتحدث عن فتح آخر، عن فتح كبير ومبين.

يا صديق..

في قلبك مفارقات ومفارقات.

وهي أيضاً كهوف مغلقة، وأرض مجهولة ويقوع
سرية.

في قلبك أماكن لا يعرفها أحد، ولا أنت، بل أنت
ذلك لا تعرفها.

وهي كواكب و مجرات لم نطالها قدم إنسان.. وهي
غرف سرية لا يعرف مداخلها أحد..

وهي صواري وثوابت عذراء، وهي قارات مجهولة
خاطفة تحت قاع البحر، وهي كواكب ونجوم لم
يرصدها (السكوب) بعد، و مجرات لا تزال تتوالد،
وتراكم في كون متعدد باستمرار..

وهي أهم من ذلك كله، وهي ذلك كله، أنت: حفنة
من هموم ومشاكل، عقد ومحابف، هواجس
وذكريات..

ما هي مليء بالتأهب، ومستقبل مليء بالغloom..

وهي أيضاً الكثير من الدخان؛ دخان السجائر التي
ينتفثها قلبك باستمرار، حتى صار يبدو مثل محرك
معطلوب..

في قلبك قفل، وعلى القفل متراس ومزلاج..

وعليه أيضاً بيت عنكبوت، وعش حمامه..
لم يقترب من القفل أحد.

وأقول لك، افتح شهر رمضان قلبك.

اترك عمليات الفتح التقليدية الأخرى، وهذا (الرمضان) أفعل شيئاً استثنائياً وافتح قلبك لرمضان.

دعك من فتح العجب والضم والعين..

أقول لك افتح قلبك لرمضان. التفاصيل الباقية غير مهمة..

انظر، مذ يديك نحو القفل، دع هلاله يكون المنجل الذي يمزق بيت العنكبوب، لا يأس ان طارت الحمامنة وارتعبت.

ارفع يديك المزلاج الضخم - ستصدر صريراً مرعباً - وربما يكون قبلاً قبلاً، اجمع فواك واستجمعي أصحابك وارفعه..

ومذ يديك نحو القفل وافتحه..

و

دع رمضان يدخل.

☆ ☆ ☆

رغم ذلك تصوم منذ قرون، دعوه يكون رمضانك الأول.

☆ ☆ ☆

منذ فترة طويلة، وعبر السنون المتعاقبة، ومع كل رمضان يهل هلاله، كنت الاحدى باستقرار شديد، أن

النفاه والخطباء والوعاظ على المذاهب وفي البرامج التلفازية والإذاعية، يعاملون رمضان كما لو كان أول رمضان يمر على المسلمين، أو كما لو أن أحكام الصيام قد فرضت للتو. كل رمضان يعاد الحديث نفسه عن أحكام الصوم وشروطه وأعذاره، وكل التفاصيل الأخرى التي تعاد وتكرر؛ ابتداء من نهاية الصيام إلى زكاة الفطر.

وكان ذلك يثير استغرابي، هذا التكرار والمعجن في أمور يفترض أن تكون من المعلومة بالضرورة، كما يقولون..

كنت أهزو ذلك في البداية إلى الغباء (غباء الخطباء أو غباء الناس عامة، لا هرق)، أو إلى هذه الموضوعات التي يجبرون التحدث عنها.. شيكون رمضان وأحكامه وسيلة منه الفراغ، لا أكثر.

لم لانت نظرني بالتدريج، ربما كانوا يكررون هذه المعلومات من أجل الناس الجدد الذين يصومون لأول مرة.

لهم أخذت أهقر أنهم ربما يفعلون ذلك من أجل التذكرة، والذكرى تفع المؤمنين.

لهم ذهبت وصلت لمعنى الحكمة الخفية التي ربما كان هؤلاء الخطباء يجعلونها شخصياً عندما يتعلّلون

عن رمضان كما لو أنه أول رمضان يمر على المسلمين..

يحدث ذلك، ببساطة، لأنه كذلك هؤلاً.. أو على الأقل هو كذلك بالنسبة إلى غالبية الصائمين؛ كانوا يصومون طوال صنوف وربما حتى صيامين على ذلك، لكن رمضان لم يدخل قلوبهم، لم يدخل أصداقهم.. كان صيامهم مرتبطة بالعادات والتقاليد والطقوس الجماعية حتى الفلكلور، أكثر مما كان مرتبطة بمعنى رمضان، وبحكمة رمضان..

دخل رمضان جهودهم فأفرغوها، ودخل أصداقهم المئوية بالحلوي والمكسرات الشهية، ودخل عيونهم فأمتعها بالمسلسلات والفوازير البهيجه..

ولكن العنجهوت والعمامة ظلا على القفل الذي على قلوبهم..

لم يدخل رمضان قلوبهم.

ولذلك يُدَعَّى كل سنة، إذا ما دخل رمضان، حتى سيعود أول رمضان.



كثيرون - كما نعرف جميعاً وللاحتفظ - من أهل الكبائر والمعاصي حتى أشدها وأعظمها يصومون في رمضان، وربما أيضاً يصلون، ثم إنهم، كامر واقع، يستشعرون عن معاصيهم وكبائرهم تلك، طوال هذا الشهر.

وهذا أمر شائع جداً، وأخشى أن يكون هو الفائز والأعم.

في الحقيقة، لا تستطيع أن تبذل أي جدّل في ذلك، لا أحد يمكنه أن يمنع أهل الكبائر من صيام رمضان أو من الصلاة فيه، ولا أحد يمكنه أن يطلق أبواباً هنّها الرحمن.

المهم هو ما يلي ذلك، بعدما ينتهي الشهر، وربما في ليلة العيد، هل سيمود هؤلاء إلى حياتهم الماضية ومعاصيهم وكبائرهم كما لو أن شيئاً لم يكن؟ هل سيصدق عليهم إلهيوس ظنهم؟ هل سيمكن من هدم كل ما بنوه في شهر، في يوم واحد بعد هذا الشهور؟ مخصبة واحدة، كبيرة واحدة؟
إذا حدث ذلك، وأخشى أن أقول: إنه كثيراً ما يحدث، هلا هائدة.

لا أخشى من أن أفتر: لا، لا لم يكن رمضان إذن، رغم أنهم صاموا، امتنعوا عن الأكل والشرب، وصلوا، وربما ذهبوا للتراءيف، لكن..

لو كان رمضان حطاً، لما عادوا أدراجهم، رغم أن الصداع أصابهم بسبب عدم شرب الشاي أو بسبب عدم تدخين سيكاره.

رغم الولائم والعزائم، والأكل والتجمُّل بهم، والتغمة التي تبعث على الكسل، والمسيلات التي تبعث

على الملل، والأشداق والأهواء، التي تحرك بلا كلل..
رغم ذلك، ورغم التقىم الهجري المعلق هناك،
ورغم أنهم قبادلوا التعبات والتعانس في بداية الشهر
وينتهي نهائته..

لكن، مع الأسف، ليس رمضان.
ربما أي شهر آخر، وربما مخصوص في كفة
حصاناتهم.
لكن، ليس رمضان.

☆ ☆ ☆

لو كان رمضان تنان حصل شيء آخر لهم.
لو كان رمضان قد دخل في هلوسيم، لما صادروا
أدراجهم إلى أوضاعهم السابقة (كما كنت).
لو كان رمضان، لقربهم خطوة أكثر إلى الله،
لامتنعوا عن المعصية المعينة. لو حاولوا التخفيف من
الكبيرة الأخرى، أو لحاولوا المواظبة على الصلاة.
لو كان رمضان حتى، لتمسكوا بذلك العibel الذي
أنت إلههم؛ فهو مصمم أساساً ليمسكون طوال الوقت،
لينفذهم في ذهابهم وأخرينهم.
لكنهم - ولأن الغفلة وباء مستعنى - هان العibel
يلقى إلههم، ظاهرين، وياءون، ويقضون الوقت في شده
وجره..

إلى أن تأتي الساعة، هرتف حول أعنفهم،
ويختنقهم، يغرقهم بدلاً من أن ينقذهم..
 ولو كان رمضان حتى، لكان هناك كلام آخر.

☆ ☆ ☆

هلت لي مرة، وبهذه البداء جداً جداً؛ إنك كنت تصوم
وتصلي في رمضان، ولكن بعدها لا شيء. وكما كنت.
سألتك وقها بسذاجة - ولم أقصد جوابها معيناً.
حصل للاستمرار في حوار -؛ لماذا؟..

أجبرتني بمحاطة - جواباً لعلك لم تدرك كم هو
عميق - هلت لي، ولا أزال أذكر النبرة واللامع وكل
شيء: شيطاني هو.

ولعلك لم تدرك كم هو صحيح ما هلت. صحيح
وحقائق، فمنذ البداية كان ذلك الرهان، ومنذ البداية كان
ذلك القسم، ومنذ البداية وحتى الآن الناس يسقطون،
ويعذ رمضان يوم، يصدق عليهم إلهيس ظنه.

«شيطاني هو» هلت لي..

وسكت أنا.

عندما يتعلق الأمر بالقوة والضعف فالمسألة نسبية.
إما أن الشيطان هو، أو أن الأدمي ضعيف.
لو كان رمضان حتى قد مز عليك ودخل هناك،
لهمس شيطان ما لزمته: «إن أدمي هو...» هنا

صديقى الذى لم يعد ضعيفاً، دع شيطانك يقول: ان
آدمي هوبي.



وقلت لك أنا صر، ولا تقال ذاكروتى تحتفظ بكل
التفاصيل، هاتنا رمضان..

كنا هناك في الشارع العام، وطال حوارنا حتى
انتصف الليل وفرغ الشارع وذهبت السيارات، اذكر
التفاصيل - لكن لا داعي لها - كنت تعاتبني بمرارة
على ما اعتبره قسوة مني (واهتمرته أنا حرصاً
عليك) وذكرت لي، للتدليل على خطئي، وهوشك بصمود
بوجهه غواية معينة، غواية يصعب على من كان في
وحديك ووضلك وماضيك أن يرفضها، وغلق الباب
بوجهها.

لكلبك طاعت.

وتخيلك هناك وأنت صامد، تعود ليلأ إلى شقتك
وحيداً، وتأكل وحيداً.

وتفكر بكل ما كان وحيداً، ثم تلف رأسك لنظام
وحيداً.

ومع ذلك استطعت أن تخعلها، وصمدت
أجوش قلبى بالبكاء وفتها، لم تسمع صوته، لكن

دمعت عيناي، لم قلت لك شيئاً كان يبدو أن لا علاقة له بالأمر..

قلت لك، ظاتنا رمضان..

لقد هكرت وفتها، إن خطواتك (السريعة أصلًا) نحو الله، كانت ستكون أثبت وأقوى وأجمل وأروع، لو أن رمضان كان هناك..

هكترت أنك تملك في داخلك فطرة هائلة - رغم ركام الماضي ومعاصيه، وتعقيدات العاضر وتقاطعاته - تملك قابلية هائلة للهداية، قابلية أصيلة ونقية لم تكن تحتاج إلى الكثير للتجلی وظهور على المصطبة، في أعمالك كان هناك مارد ملمن، لم يكن يحتاج إلى الكثير ليخرج من قمقمه.

ولو كان هناك رمضان، والقصة كلها بدأت بعده شهر كما تذكر، لكان ذلك أثبت، وأيسر، وأروع، أو كذلك ظلنت.

وفتها ما كنت أتصور أنك ستبقى إلى رمضان القادر.. لذلك قلت بحسرة وحزن عميقين، ما كان يبدو أنه لا علاقة له بما قلت، قلت لك، فاتنا رمضان..

هزرت رأسك مواطفاً، ولم تعلق.

هناك في الشارع العام، وقد خلا من المارة والسيارات قلت حتى كانت أن تخفي بالتدريج، حصلت هذه الحكاية..

لكن، هوق هناك، عند الله في عالياته، كانت هناك خطة أخرى، وكان رمضان القائم ينتظرنـا..
رمضان الذي - منه المرة - يجب ألا يفوتـنا.

☆ ☆ ☆

وكل ذلك أشعر أن العذ الشاذلي قد بدأ فعلـاً، وأن الوقت قد بدأ يدركـي (يدركـها) وأن عليـ أن أستجـمع كل كلمـاتي وكل أـفكاري وكل هـواجـسي ووسـاوسي ومخـالـفة لأـركـزـها فيـ حـنـةـ وـاحـدـةـ؛ يـكـونـ موـعـدـهاـ فيـ رـمـضـانـ..

نعم، أـشعـرـ أنـ العـذـ الشـاذـلـيـ قدـ بدـأـ وـلنـ رـمـضـانـ
الـذـيـ عـلـىـ الـأـبـوابـ (يكـادـ يـطـرـهـاـ)ـ هوـ الـأـخـيرـ لـنـاـ مـعـاـ،ـ
وـانـ رـمـضـانـ الـذـيـ يـلـيـهـ،ـ صـوـفـ يـزـورـنـاـ كـلـ وـاحـدـ عـلـىـ
حـدـةـ -ـ فيـ قـارـةـ مـخـتـلـفـةـ -ـ (هـذـاـ إـذـاـ فـعـلـ لـصـلـاـ)ـ..
الـعـذـ الشـاذـلـيـ قدـ بدـأـ،ـ وـرمـضـانـ عـلـىـ الـأـبـوابـ،ـ وـنـكـلتـ
الـعـدـادـ تـكـادـ تـسـجـرـ كـالـقـبـلـةـ الـمـوـقـوـتـةـ فيـ أـعـصـابـ..

☆ ☆ ☆

إـلهـ رـمـضـانـ إـذـنـ.

ولـأـنـهـ كـذـلـكـ،ـ هـاـبـوـبـ الـجـنـةـ -ـ الـتـيـ تمـتدـ مـنـ الشـامـ
إـلـىـ الـيـمـنـ -ـ قـدـ هـتـحتـ،ـ وـأـبـوـبـ جـهـنـمـ -ـ الـتـيـ لـاـ أـعـرـفـ
بـالـضـيـعـ أـبـهـادـهـ -ـ قـدـ أـغـلـقـتـ،ـ
وـالـشـيـاطـئـ سـلـسـلـةـ وـسـقـىـتـ.

ولأنه كذلك هذه فرصة عظيمة للتنوّع.

☆ ☆ ☆

لا، لا أصغر من هؤلاء ثلاثة، ولا أقصد الاستفزاز والاستهزاء (رغم أن الفرصة عظيمة).

إنه فرصة عظيمة للتنوّع فعلاً، ولكن ليس للموائد المسدودة طولاً وعرضًا وعمقًا. ليس للحلويات الرمضانية ولا للمقبلات والمشويات التي يتعذر مجتمعنا اجتذارها، وتقىن نماذجنا في إعدادها.

ليس لأنواع العصائر التي (رمضان ليس رمضانًا من دونها) ولا للمخللات التي لا بد من وجودها كطريق ضروري ولا غنى عنها.

ليس لألوان اللحوم التي تتصبب، بيهضأه وبحصائه، وما بينهما، وطرق طهورها المختلفة وأنواع حشوشها المتنوعة. ليس لكل تلك المسوائل المختلفة ألوانها، طازجة ومصطنعة، التي يفترض أن تعيدها بسرعات هي من لزوم ما لا يلزم.

ليس لكل ذلك الهراء الوائل - في البيت والمآل والصحة والروح - المشرعة راياته من أجل التقاليد الرمضانية المعرفية.

نعم، رمضان فرصة عظيمة للتنوّع. ولكن عن شرط آخر أتحدث.

يتواءل، من ذاق عرفه، ومن عرف افترفه

☆ ☆ ☆

رغم الأبواب المفتوحة، والأخرى المسودة، رغم
السلاسل والأضلال.

لا أجد فيه غير أنه هرصة للتنزق.

كل تلك الأبواب المشرعة الممتدة على خطوط الطول
والعرض. كل تلك الأخرى المغلقة، والسلالس هي
تصفى الشياطين.

لا أجد فيه سوى أنه هرصة للتنزق.

كل ذلك الأجر. كل تلك المغفرة. كل تلك
الحسنات: لا أجد فيها سوى أنها معلم أعد من أجلك،
لكي تنزق هقطلاً نعم. فقط. رغم أن هذا إل (قطط)
كثير - لو كنتم تعلمون.

☆ ☆ ☆

أكرر من ذاق عرفه، ومن عرف افترفه.
ولأنه يحبك. ويريدك أن تبادله حباً بحب..
ولأنه يعلم أنك تجهل كم هو رائع حبه، وهو العليم
بما تعلم وما تجهل.
ولأنه يعرف أنك لا تعرف شيئاً، وأنك حائر وضائع
وخائف مثل طفل خجول في أول يوم له في المدرسة.

ولأنه خبير بأنك تصرف في مشاعرك في الانجذاب
الخطأ، وأنك تتضيّع عصرك - أحياناً - في الأهداف
الخطأ.

ولأنه يعرف أنك تحتاج إلى من تجهيه، كما تحتاج
الماء والهواء - وربما أكثر - وأن حاجتك إليه موجودة
في أعمالك حتى لو كنت تجهل وجودها..

ولأنه يعرف أن حاجتك هذه، ستضيقك إن لم
تشبعها؛ بالضبط كما تفعل كل الحاجات الأخرى،
وستمرد عليك إن لم تجدها، وستتركك في مهبو
ومهالك إن أنت لم تسكها؛ فإنه يريدك أن تشبع هذه
الحاجة إليه في أعمالك..

ويحدث ذلك كله - أول ما يحدث، وأكثر ما يحدث
- في رمضان.

عندما يجعلك تتدوّق طليلاً.

☆ ☆ ☆

لتتأمل فيما تعرفه أن تسمعه، دون أن تتبهّله..

في رمضان هناك موسم تزييلات هائلة وعظيمة
على كافة البيضان و بكلفة الأنواع.

هناك المفقرة. هناك الأجر الهائل. هناك العتق
من النار. هناك الحسناوات التي تجاري بعشرة أضعاف

وأكثر مما لو قدمت في أي شهر آخر. هناك كل تلك الفضائل الأخرى التي تدخل العنة وتخرج من النار، بأقل من القليل من الأعمال..

حسناً، نعرف ذلك كله. لكن ما الأمر بالضبط من وراءه؟

لقد تعودنا سماعه ومعرفته. لكن لماذا يحدث ذلك بالضبط لم نبال.

لو حدث الأمر مع أي بضائع أخرى - دونما تشبيه - لشكنا ولثارت تساؤلاتنا. لو دخلنا أي متجر، ووجدنا أن أسعار بضاعته قد أنزلت إلى العشر أو أقل، ألن نتصور أن هناك شيئاً ما في الأمر. البضاعة كاسدة. مضروبة. مشاكل في الخزن. مناسبة على الأسعار. إلخ.

أليس كذلك؟

لكن معه، وعندما يفعل ما يفعله في رمضان، فإننا لا نتساءل. إنه غفور رحيم كريم. وتلك صفاتي التي تعطينا على أن نقبلها كما هي.

إنما لا نقلب في البضاعة، ولا نحاول أن ندقق لكي نعرف ما الأمر من وراء هذه التزييلات. لكن، فلنحاول أن ندقق قليلاً في الأمر.

إنه غفور ورحيم وكريم، ولأنه كذلك فإنه يمنحك

مفتره وكرمه دونما حدود. في رمضان خصوصاً أكثر من أي وقت آخر.

نعم. هذا معلوم.

لكن، مثلاً، لو أننا خرجنا من رمضان ونحن عقاب من النار وقد غفر الله لنا ما سبق من ذنبينا، ثم عدنا كما كنا بالضياع، كبائر وكوارث ومعاهد ومصالib، وطريق النار مرة أخرى.. ما الذي سيكون قد حدث بالضبط؟.

لا شيء. سنلتئم إلى رمضان القائم، وهذا دواليك. أي شخص يموت في الفترة بين رمضانيين في هذه الحالة، سيكون مصيره مظلماً جداً، وتعسياً جداً. لا ينسجم ذلك مع صفات المفتره والكرم والرحمة، التي التقنا أنها السبب في موسم التغزيلات الرمضانية.

هناك خطأ ما في الموضوع..

لنجاول مرة أخرى.

☆ ☆ ☆

عندما تزور متجرأ ما، فيحاول صاحبه أن يغرفك بعلفه وموته، ويبالغ في إكرامك، فيحسم لك من السعر، ويبالغ في ذلك، ويهديك قطعة من بضائعه مجاناً، ويجلب لك كرسياً لستريح عليه، وينادي على صبيه ليجلب لك كوباً من الماء البارد.

عندما يحدث ذلك، فإن هذا السلوك سيعذلك
وينفرنك، حتى لو كانت دوافعه مكتشوفة: إنه يريدك أن
تنهضع منه باستمرار، يريدك ألا تذهب إلى أحد
سواء.

لا مشكلة في ذلك. ما دامت بضافته جيدة،
وأسعاره متداولة، ومعاملاته لطيفة، لن تذهب إلى أحد
سواء هل يتدخل الناس عليه.

ذلك ما يحدث أيضاً. بدون تشبيه، طبعاً.

☆ ☆ ☆

وعندما يعطيك أحدهم هدية، وأنت لا تقدر ثurnفه،
فإن هدفه واضح طبعاً: إنه يريدك أن تعرف عليه،
يريدك أن تقوى علاقتك به، يريدك أن يلغى انتباحك
إليه؛ يريد منك أن تعبه..

لا تصدق أن هديته إلهي مجانية. لا، ليس
بالضرورة أنه يريد أن تردها إليه هدية أخرى، مادية،
لكرهه يريد أن يجذبك إليه، أن يحببك فيه، يريد منك
أن تذهب إليه..

ذلك ما يحدث أيضاً. بدون تشبيه.

☆ ☆ ☆

الطعم في الصنارة. هذا هو.

☆ ☆ ☆

لأنه يريد بذلك أن تمشي إلى شهيتها بخصل ثابتة،
ذلك يضع لك الطعم في الصنارة،
في رمضان تحديدًا.

ومن ذاق الطعم، عرف الطعم.
ومن ذاق عرف، ومن عرف..

الطعم في الصنارة، شهر واحد في السنة، من أجل
أن نعرف الطعم الذي من الممكن أن تناوله طيلة
السنة.

الطعم في الصنارة، شهر واحد في السنة
ويتسهيلاً غير مسبوقة! من أجل أن نعرف ما
سيفوتنا ما لم نفترط طيلة أيام السنة.

إنه الاستدراج الجميل، إنه الفخ الرائع.

سأقول لك، أصيّدني الآن في هذا الشهر وأبواب
الجنة مفتوحة من أجلك، وأبواب النار أغلقت حتى لا
تخيفك، والشياطين قد صفت حتى لا تشوش عليك،
وسأخفر لك كل ما عملت من ذنب، وأعترك من النار
وأدخلك الجنة.

وستطبع، بدعي أن تطبع، شهر واحد في السنة
متايل السنة كلها؟

بل وحيث العصر السابق كله؟ الصفة مفرية، بل
شديدة الإغراء، ستقدم عليها بالتأكيد، وربما ستقول
لنفسك أو لشيطانك المهدى بالأخلال، شهر واحد فقط

ثم تعود كما كنا بالضبط. لن يغير شيء شيئاً، شهر واحد فقط أعيده كم أصوه لك..

وله هذا الشهر - وعلى الرغم من اتفاقي مع الشيطان - سيكون الطعم في الصنارة في انتظارك..

ويمكنك كثيراً أن تن邀ق الطعم، هرولتك، ومجبك، وتريد المزيد، والمزيد..

وتعلق الصنارة.



ولا لم تطلق الصنارة في رمضان، حتى يا ترى؟



نعم، رمضان هرصة عظيمة للتنوّق، مناسبة لاستعراض لذائذ مختلفة وحلوات متعددة..

إنه يجر رجلك إليه. المفكرة فتح رائق، الأجر العظيم استدراج متقن، ستدبر إلى الفخ وأنت لا تدري بالضبط ما سيعذب بدمها، وفجأة سيعجبك الأمر وستعلق به بالتدريج..

وعندما ينبعي موسم التسهيقات الرمضانية، ويدل هلال العيد، ستحاول أن تعود لاتفاقك مع الشيطان - الذي هك أسره مع هلال العيد - لكن ستجد خيوطاً وحالاً تشدلك إلى الجهة المعاكسة، ستجد أن الأمر لم يعد أبداً كما كان قبلها..

ستحس كما لو أن رمضان قد غير أحوالك، وعندما
رجع الشيطان بمقاييسه القديمة لم يستطع الدخول
إليك..

ستحس كما لو أن رمضان قد أسطرك في شبكة،
اصطادك بها وأنقذك من ذلك المستيقع الأسن الذي
كنت قد غرقت فيه..

الطعم في الصفاراة استدراج جميل وفتح رائع..
ولملاذا بالضياع يفعل ذلك؟ ها نحن ندور دورة
واسعة ونعود لنقطة البداية نفسها، لأنك يحبك الله،
يريدك أن تبادله الحب نفسه. لأنك يريد أن تذهب إليه،
إنه يستحق طبعاً - إن شاء - أن يسلك على طريقه وأنت
مكتب على وجهك.

لكنه يريدك أن تذهب إليه وأنت تعشي - سوياً -
على صراط مستقيم.

إنه يريدك أن تذهب أنت إليه بقدميك.

☆ ☆ ☆

ليس هذا ما يبحث بالضبط، لكنه ما يجب أن
يحدث.

إنه الهدف والحكمة من رمضان،
رمضان ليس من أجل رمضان، رمضان من أجل بقية
السنة.

☆ ☆ ☆

من ذات حرف...



ومن الأشياء التي يقدمها لنا رمضان للتذوقها، تذمرها، وننكرف منها (سواء في رمضان أو فيما بعده...) الصلاة.

وهو يقدمها للتذوقها بطريقة عرضية جداً، بحيث تبدو أنها غير مقصودة البينة. وهذا من تمام الاستدراج، ومن روعة الفرع المتصوب بإحكام.. رمضان كما هو معروف للعامة وللناظرة المتسرعة، هو شهر الصيام.. لكن الذي يحدث، أن الاستدراج يكون نحو الفريضة الأخرى: الصلاة..

ويحدث ذلك كما قلت: بطريقة عرضية تماماً، شكلها الظاهري أنها غير مقصودة، الناس، عامة الناس، من أصحاب المعاصي والكبائر، أولئك الذين لا يصلون، سبب جذبهم رمضان بفتحه من الجهة التي تهمهم: المغفرة والعفو، إنهم يريدون أن يصرف العداد؛ عداد الذنوب والمعاصي، ورمضان طرفة، ظلمت ذروها، لا مشكلة في ذلك، سبب صومون..

ولكن، ومن أجل أن تستغل الفرصة تماماً، دون أن يترك مجال لضياعها، هؤلئك بالإضافة إلى صومهم: سوصلون.

صلاتهم هنا - هي في الحقيقة - من أجل الصيام، صلاتهم هنا هي بطريقة عرضية تماماً، غير متصودة لذاتها؛ إنها من أجل رمضان. من أجل إلا يحصل رمضان، من أجل إلا تضيع الفرصة.
سيحصلون، إنه رمضان، ولا ينفع صيامه دون الصلاة فيه.

ورغم سذاجة النظرة وانتهازيتها الواضحة، إلا أنها صحيحة إلى حد بعيد، لا ينفع شيء - ليس الصيام فقط - من دون الصلاة.

في هذا العالم كله، كل الأعمال التي يستطيع ابن آدم أن ينجزها، ويتقنها ويرسم فيها، كل ما يمكن أن ينتج عنها من خير، من مساعدة للناس وتحفيظ لألامهم ومعاناتهم... .

كل ذلك، مهما علا شأنه ومكانته دنيوياً، سيكون - في النهاية - مثل جنة متناثرة لحيوان نافق.. إذا لم يكن هناك صلاة.. .

الصلاوة هي ذلك العد الفاصل الذي لا حياد عنه، الذي لا مفر منه، إذا لم تكن تريد لأعمالك أن تعبر لنصیر مثل جنة حيوان نافق.. .

الصلاوة هي ما لا خلى عنه، ما لا نقاش فيه، ما لا يمكن لمجادل أن يجادل فيه.

ولذلك، حتى أولئك الذين لا يحصلون - كسلأ وهزلأ

وضياعاً وتطهطاً - هانهم عندما تتحقق الحقيقة ويضمون أنفسهم على المحك، وصومن رمضان، طبعاً في موسم المفكرة، هانهم يصلون، في إثارة علني منهم بأنه لا ينفع شيء من دون الصلاة.

إنه الاستدراج، إنه الفرع المنصوب بآحكام رمضان ليس من أهل الصيام، الله - تقبل ذلك - من أهل الصلاة.



يقودك إثارة علني (الذي لم تغير نفسك به) الذي متاده أن لا شيء ينفع من دون صلاة.. إلى أن تؤدي خمس صلوات كل يوم لمدة شهر كامل..

وذلك معناه، أنك ستؤدي أكثر من خمس مائة ركعة، من أهل صيام ٣٠ يوماً..

خمس مائة ركعة.

ويعني ذلك ألف سجدة لا
لا استطيع هنا إلا أن أقف، يجب أن أقف، لا بد أن
أقف،

- عندما تصعد له ألف مرة، عندما تضع رأسك -
أكرم وأهم ما عندك - في الأرض من أجله، عندما
تنزل بعلولك وعرضك وكل كرامتك وكل احترافك
بنفسك.. وتذهب إليه هناك في المكان الأقرب..

ألف مرة ستنزل إلهه، سترى تهلك وكبرائك وأوهامك ومشاعر النقص في داخلك، التي تجعلك مثل ذلك منفوخ..

ألف مرة، ستذلل إلهه، وتطلب منه، وتنزل هناك للتدخل عليه..

ألف مرة، ستكرد اسمه، وتسبحه، وتمجهه، وتغزهه، وتمدحه ب مختلف الأسماء والصفات التي يمتلكها. حتى لو لم تكن تقصد شيئاً من ذلك كله، حتى لو لم تكن تفه ما تقول، حتى لو كنت تصلي فقط من أجل الصوم، بعد ألف مرة، لا بد أن يترك ذلك أثراً في قلبك..

بعد ألف مرة، وحتى لو لم تكن تقصد شيئاً، لا بد أن ترسّب في داخلك مشاعر وأحاسيس ما كانت في بالك في أول يوم من رمضان، يوم بدلات بالصلاوة من أجل رمضان فقط..

لكن بعد ألف مرة، وكما لو كان الأمر فيه بالتدويم الشفاضي، لدك بذلك تعب ذلك..

حتى لو كان الأمر لا يزال ثابلاً على نفسك، لدك بدلات تتعود ذلك.

أتري؟

إنه الاستدراج الجميل والفتح الرائع، إنه الطعم في الصفاراة.

لا يحدث ذلك على النوم. لكنه الشيء الذي يجب أن يحدث.



الناس الذين يسكنون بالقرب من الأنهر، على شواطئها المباشرة تحدثوا، تشاً بينهم وبينها علاقة خاصة من نوع مميز جداً.

بالتدريج ومن دون أي اعلان صاخب عن ذلك، يصير النهر واحداً من أعز أصدقائهم، بل ربما أعزهم إطلاقاً، حتى دون أن يدركون ذلك أو يعووه بشكل واضح.

الذين يعيشون على التل يتقهقرون ذلك. وزوارهم - الذين يقيمون بينهم بشكل دوري، كما قضيت شطراماً من صغرى - يعرّفون ذلك ويميزونه.

هالنهر يكون دوماً هناك بالنسبة إلى هؤلاء، إنه يصبح عليهم وهم يصيرون عليه، يتناول معهم إفطارهم، ويشاركون في خبزهم، ويتناول معهم الشاي وأحياناً القهوة، يسمع لهمومهم ومشاكلهم، ويماهم في التخفيف من حسراتهم، ويساعدونه - بصفته الدائم والمستمر - على أن يتكلموا، ويغفروا من الأثقال التي في صدورهم.. والتي لا يستطيعون أن يكشفوها.

إنه هناك: صديق الأرامل والمعاجائز والأطفال، وأحياناً المشاق. إنه يسمع لهم ذكرياتهم - رغم أنه

لا يتكلّم فعل - لم يستطعها سكوتها. ومن لم يمض، رغم أنه يظل موجوداً هناك..

لا، ليس كابن عمّه الأكبر منه: البحر. البحر مختلف. هياج وغضب. ثورة وعظمة. مد وجزر. حياة وموت.

أما النهر فهو وديع وهادئ، يكاد أن يكون مسالماً جداً، لا يكاد يستطيع أن يؤذى أحداً. إنه صديق عزيز، يبرر على كتمك ويواسيك، ويأتي لك بكتوب من الماء عند تشرق بالبكاء أمامه.

ظلمة الله وقدره وجرأته تتجلى ربما في البحر أكثر، لكن لطفه ورحمته وحكمته تتجلى في النهر بشكل واضح.

يذكر النهر أساسيات مهمة في الحياة. كل نقطة فيه لا تشبه نقطة أخرى، ومع ذلك فهي متشائلة معها تماماً، بشكل أو بأخر.

كل نقطة فيه تمضي إلى غير رجعة، مثل الزمن يinct من بين أصابعك، ولا يعود أبداً.. أبداً..

كل نقطة فيه تذكر أن الحياة تتخل مستمرة، وسوف تتخل مستمرة، رغم الأحزان. رغم الأوهام. رغم الخذلان.

يذكر النهر بالصبر: إنه يظل صبوراً هادئاً، يمضي في طريقه، أحياناً كسيراً حزيناً، وأحياناً قوياً متيناً، لكنه يمضي على كل حال: مثل الحياة.

النهر لا يهر كثيراً عند النظرة الأولى مثل البحر، لكنه يتسال إلى داخلك يهدو و بالتدريج، المشاهير في مختلف المجالات سيمرونك بالتأكيد عندما تراهم للمرة الأولى أكثر بكثير مما انبهرت به صديقك المقرب يوم رأيه أول مرة، لكن صديقك هذا دخل هناك أكثر، والقترب منه أكثر، وأحبته - كتحصيل حاصل - أكثر. كذلك النهر . العلاقة منه لا تكون حباً جارها من النظرة الأولى. بل تكون علاقة ود صدقة ليس بغير تراكم العطون. مثل علاقتك بجار البحر وأهله. إنك لن تنه لأصحابهم في حياتك. في قاسمها اليومية. لكنهم إذا أخذوا بذلك سخيب. حتى يشك ذلك سرهـ.

وجران النهر كذلك. النهر يدخل في تفاصيل حياتهم وسلوكياتهم سواء وعوا ذلك أم لم يعوم. انهم يدركون عليه، دون أن يفهموا كنه هذا الإدمان.

أعرف شخصياً انساناً من جران النهر. سيموتون حتماً إن أخذوا النهر منهم، لقد تحولوا بالتدريج إلى كائنات برمائية - مخلوقات نهرية؛ النهر ليس جار عمرهم فقط، ولا أعز أصدقائهم، ولا يهتم، ولا الخلفية التي تجري فيها أحداث حياتهم هحسب.. ولكنه صار جزءاً من ذواتهم، جزءاً من كيانهم..



ستقول، جمبل وموسى لكن ما علاقة ذلك به موضوعنا؟
صحيح، كتبت أن أنسى.

كتبت عن ذلك لأنه ذكرني به حديث للرسول عليه الصلاة والسلام، قال فيه - ذات الذي لا يكتب أحداً -: مثل الصلوات الخمس في اليوم والليلة مثل نهر هاجر حبيب وبهاب أحدهم. ينفصل منه خمس مرات، فهل يبقى من درنه شيء؟.

والتشبيه صحيح إلى درجة الإعجاز.

فعلاقتنا بالصلوات الخمس اليومية تشبه علاقة النهر بجيران عمره. لا حب جلوف صاعق من النظرة الأولى. ولكن علاقة ود وودة ورحمة، يزيدها الزمن متانة وقوه وحكمة.

لو قلت لك، أو لأي أحد، لو لو أن أحداً قال لأي أحد، إن الخشوع سيكون هناك منذ الركعة الأولى التي تؤديها له سبحانه وتعالى، لكن ذلك كذلك كذلك مفوضحاً لا يصدق أحد.

لو قلت لك، أو لأي أحد، إن التعلق بالصلوة سيبقى منذ اليوم الأول الذي تصلي فيه، وإن التلذذ بحلاؤه الصلاة سيبقى منذ اليوم الأول والركعة الأولى، فإن ذلك سيكون من ثليل المبالغات الإنشائية التي لن تسمن ولن تقفي عن جوع..

ربما في الصبح هناك شيء كهذا - على ما يقولون، يا رب، أو عينا، مما يراذنه تعالى - في الصبح هناك ذلك الخشوع الجارف الذي يتأتي فجأة من النظرة الأولى، تنهمر الدمع وتتدفق المشاهير، ويسري التيار الكهربائي الصاعق في الأعصاب، منذ النظرة الأولى..

لكن في الصلاة، لا، هناك في البداية التعمود والاضطراب، ثم الاصطهار عليها، ثم السكون والهدوء، ثم الطمأنينة والراحة، ثم ذلك الحب العميق والمودة الصادقة للفهر الذي يمر أمام بيتك، وتقتصر فيه خمس مرات كل يوم، لو أخذوا منها منك التهن من صياتيك يوماً معيناً..

طبعاً قد يهيض النهر أحياناً، ويجتاحك الخشوع في الصلاة، وتنهمر دموعك وتسل أعصابك وتعلق عالياً في السموات السبع بينما أنت مساجد وجهتك على جهة الأرض... .

لكن ذلك كله لن يأتي فجأة، بل بالتدريج، بهدوء، بهدأة رويدأة.. .

ورمضان بركتاته الخمس منه العتبة، يعطيك الطعم لكي تحب ذلك النهر الذي يأتيك إلى بابك، يعطيك الوقت ليهتم في داخلك ذلك الود المترافق، وتتم في أحشائك مشاعر الحب تجاه جارك هذا الذي تقتصر فيه خمس مرات كل يوم.. .

رمضان يمنحك الفرصة للتمود. والتعمود ضروري
جداً في تطوير أي علاقة ليس فيها حب النشرة
الأولى..

رمضان يمنع لك ولغيرك، فرصة الاصطدام،
ومعارضة الكسل، وقتل العجز.

رمضان يعطيك قطعة أرض غالبة الثمن، مطلة
على شاطئ النهر مباشرةً.. يسجلها باسمك.. ويعطيك
السياحة.

☆ ☆ ☆

نهر جار عذب وبباب دارك،
وأقول لك: خذ نفساً عميقاً جداً، واغطس.

☆ ☆ ☆

وستسألني: لماذا إذن ينقطع الكثيرون عن الصلاة
بعد رمضان؟

إنه سؤال حزين...

وأجابه مقد. دعا الذي يدفع الناس إلى أن يتركوا
النهر بعد ما تعودوا عليه وأفضلوا منه وسبحوا فيه؟
ما الذي يفهمون إلى أن يتركوا أرضاً هم جيران
النهر فيها، لم يعودوا للسكن في أرض خربة، صحراء
جافة، لا ماء فيها ولا ذرع؟..

نعم، إنه سؤال حزين، وجوابه معقد..

ظربما لأنهم لا يعرفون، لم يخبرهم أحد بذلك،
ويبين كوم الأشياء التمهلية التي تقال في بداية الشهر
وخلاله عن المغفرة والأجر العظيم لم يخبرهم أحد
عن الفحوى من ذلك كله، لم يتكلم لهم أحد عن
الظلم في الصنارة، أو لعل أحداً أخبرهم؛ ولكنهم قوم
لا يسمعون؟..

أو ربما كما قلت أنت مود، عندما سألك أنا مرة
السؤال الحزين نفسه: شيطانهم قوي..

وكما قلت سابقاً، عندما يتعلق الأمر بالقوة
والضعف، فالمسألة تتطلب نسبية.

فاما أن شياطينهم قوية.
أو أنهم هم الضعفاء.

☆ ☆ ☆

والضعف والقوة مسألة حساسة وأساسية في
حلقتنا بأنفسنا وبالله عز وجل، وبالشيطان الذي
يتربص بضعفنا ويترصد تعينا - ليهجم..

- والظلم الذي يستدروجنا إليه رمضان مجدداً -
بينما الشيطان مصدّ في أغلاله مقيد هناك في
الزاوية المظلمة - هو أنه يجعلنا نعلم كم نحن أقوىاء.

أو بعبارة أخرى، يجعلنا نعلمكم من الممكن أن تكون أقواء.

يجعلنا نستشعر نواحي القوة في دواخلنا، فنستكشفها ونقيمها.. ونستثمرها..

لا أقول لك أن ذلك يحدث دائمًا.

لكنني أزعم أنه ممكّن أن يحدث دائمًا.

لذكر مرة حكى لي عن صديقك ذاك (الذي اسمه يشبهه اسم نهر صغير في منطقة ريفية بعيدة...) وعن قصة التزامه الطريفة.

سأجاوز تفاصيلها الممتعة - والتي تؤكد فقط ما قلته لك سابقاً من أن الإيمان يتحررك بطرق غامضة - لأصل إلى نهايتها وملاحظته الجميلة التي لها صلة بموضوعنا.

قال لك: إنه مرّة بعدها صلى صلاة العصر في المسجد، قضى الوقت كله فيه إلى صلاة المغرب، ثم صلاتها جماعة، وخرج..

وعندما خرج يسير في الشارع وحيداً انتابه ذلك الشعور العظيم بالقوة والمنعة، بالضبط قال لك: إنه أحسن أنه قد صار أقوى شخص في العالم.

ضحكتنا معاً، أنا وأنت، وكررنا معاً العبارة: أقوى شخص في العالم.

لعله لا يدرى، كم هو صحيح ورائع تعليقه هذا..



القول شخص في الممارسة

ورغم أن مصداقية هذه العبارة تحتاج إلى مباريات عالمية، ومقاييس انتظامية، وسيطرة نوعية، وتفاصيل هيدرائية وفسيولوجية كثيرة؛ إلا أن العبارة صحيحة بشكل مدهش، لا، ربما ليست الدقة هي في التعبير الذي يجب أن أستعمله هنا، بل شيء آخر يتمثل في كلما خرجت عبارة ربما كانت عادية وعامة لكنها تفترق بصفتها وواسطتها جوهر الحقيقة، أكثر بكثير من تلك العبارات النمطية التي يتمطلق بها أولئك المثقفون.. أقول ذلك، لأنني بعدما هكرت بعبارة صديقنا، وجدتها شيئاً استثنائياً اخترق جوهر الحقيقة بشكل استثنائي ونادر..

صحيح، وسمينا جميعاً، ذلك الحديث الشهير عن صلاة الجمعة التي تفضل صلاة الفرد بسبعين وعشرين مررة..

وكعادتنا، جلسنا مثل ذلك المراهق اليهودي العتيق - الذي كثيراً ما تكونه في حالات كهذه - جلسنا نعد ونحسب، كما لو كنا موظفين نশطط في

بورصة الأجر والثواب، نعد ونجمع ونطرح ونفاصل،
كما لو كنا قد أدينا فضلاً على رب العزة إذ نحن
ذهبنا إلى المسجد..

وبية خمرة حسابة ننسينا شيئاً مهماً، لكن صديقك
تذكرة، أو طمه، أو شعر به، هنديها خرج من الجامع
يسير في الشارع وحيداً.. وأحسن أنه أقوى شخص في
العالم..

كيف لم يلتهي أحد إلى ذلك؟ كيف لم يخبرنا أحد
بهذا؟ كيف لم يفسر أحد لنا تفاصيل الأجر
المضاعفة؟ لكن صديقك أحسن، ربما دون أن يفهم
بوضوح، ثم إنه ثال، وهو المهم.

صلاة الجمعة، كتحصيل حاصل، تجعل الواحد
منا بعشرين، أو بخمسة وعشرين أو بسبعة وعشرين..
(وعلها، إذا كان الفرد الواحد الذي يصلى جماعة
يساوي سبعة وعشرين شخصاً من أولئك الذين يعيشون
في الأسواق، فإنه - علها - يكون فعلاً أقوى شخص
في العالم، وليس أقوى منه وأصلب إلا شخص مثله
يصلى جماعة).

صلاة الجمعة تضاهف من هو لك. تجعلك تستمد
طاكتك الروحية من الجميع الذي يصلى معك، وكل فرد
يصلى فيه الصدق هو مثلك. من دون الصدق لا يساوي
 شيئاً ولا يحسب ربما إلا كصفر على الشعائ، لكن

انتظامه في الصف، انتقامه للجماعة، هو الذي يجعله يهمناً. الفسق اليمين، هو الذي يجعل له وزناً..

صلاة الجماعة تعطي ذلك الشعور الطاغي، أنك هدلت فرديةك المزمنة وعزلتك السرية، وتنحيت ذلك الانتقام للأخرين الذين ينتصرون بدورهم إلى الجماعة، وهو شعور (رغم الفموض الذي قد يكتنفه) إلا أنه يمنع في الوقت نفسهطمأنينة والسكن.

إنها طمانينة مستندة على جدار الصف المتن المتماسك الذي تكونه صلاة الجماعة. طمانينة مستندة على حدودك أنت أخيراً - في هذا العالم التوحش الثاني - لم تعد وحدتك، ولكن أخيراً - في هذا العالم القاحل تكونه بالوحدة والعزلة والطهارة والندر - صار لك جماعة..

طمأنينة لا يعرفها إلا ذاك الذي ظلل لدهور وحيداً تائياً دونما صدق، في الرابع الطالبي. وفجأة صار له رب طمانينة هادئة، تسرى بصمت من كتف لكتف، من قدم لأخرى، عبر ذلك الصف المترافق الواقف للصلاة. نعم، إنها القوة الهادئة المطمئنة، تنتقل من واحد لأخر لتسكن في المجموع، في فرد هو جزءة من تركيب كامل لا يتحقق إلا عبر اتحاد الجزيئات، وكل جزءة لا تتحقق ذاتها إلا عبر التصالحها المتعامل مع الجزيئات الأخرى..

الإسلام كما يقال، أو بالأحرى كما لا يقال، هو مجموعة من التوازنات بين الروح والمادة، الرحمة والقدرة، وبين الفرد والجماعة.

وبالنسبة إلى التوازن الأخير على الأخص، بين الفرد والجماعة، فإن صلاة الجماعة خصوصاً هي التي تأتي به، في شكل واضح وجلي..

صلاة الجماعة تجيز ذلك بشكل حاسم وتلقيائي ومن دون تصريحات لفظية وخطابية.

صلاة الجماعة تتحقق ذلك الذوبان الذي يحصل للفرد في الجماعة. بالتدرج تتسايل جزئياتك، تتدافع ذرائلك، تتواتر كل جزئية هناك للتخرج من هرمها، من انتها الضيق، من فرزانية الذات، وتتدافع نحو السماء الأرحب، نحو الأفق الطلق، نحو الجماعة، حيث يتمايز وجودها وتظهر فاعليتها أكثر عندما تلتقي مع بقية النرات، والجزئيات، تتفاعل جميعاً في إطار واحد، وتتصهر في بوتقة واحدة..

صلاة الجماعة تجعل ذلك، وفي الصيغة، هي صارت أصلاً لتحقيق ذلك.

وحتى لو صارت الصلاة منفرداً، في ركن بميد خالٍ أو غرفة منعزلة أو صحراء خالية، فإنك مضطر بما لا مجال فيه للتفسير أن تتحدث في ذاتية صلاتك - التي لا صلاة من دونها - بحقيقة الجماعة، تكون وحدك،

ييفك وبين الجماعة ربما فارة، ومع ذلك تهمس:
إِنَّا لَكُمْ نَعْبُدُ وَإِنَّا كُمْ نَسْتَشْرِفُ (١) .. ذكر الكلمات،
 عندما تطلقها، بذلك جزء من الجماعة، فيما يبحث، فيما يبحث..

أو كما لو كانت الكلمات تذكرك بأنك خروف شارد
 من القطيع.. خروف مسلوب، منهوب من القطيع..
 وإذا ظللت كذلك هائلاً مرصوداً لذلك الذئب الذي
 يتربص من الفنم القاسية.

صلاة الجماعة تتحقق الانتقام، وتعطيلك تلك
 الهوية: لم تعد وحدك، صار لك جماعة، لن تتصير
 ملامحك تماماً ولن تخسِّع استقلالهتك، لكن حدودك
 لن تتمايز إلا عبر تعاملها مع الجماعة..

وستذوب إلـ (أنا) في إلـ (نحن)، ستأخذ إلـ (أنا)
 من إلـ (نحن) ثوابها وتماسكها ونهايتها المرصوص،
 تصير سداً منهاً لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من
 خلفه..

وستأخذ إلـ (نحن) من إلـ (أنا) ثواباتها
 وتعالياتها وأبداعاتها وخصوصياتها تتصبّر فيه كما
 يتصبّر النهر في المعطر، تتصبّر إلـ (أنا) من إلـ
 (نحن) كما تتصبّر الدلتا من طمي الأنهر..

وبين هذا التوبيان الأخاذ وذلك التفاعل الجامع
 سوري - مثل تهار كهربائي - ذلك الشعور المطمئن
 بالقوة والمنعة..

وسيخرج واحد - تعرفه - من الجامع بعدها صلى فيه صلاة جماعة وقضى الوقت بينهما فيه، سيخرج بجبيه منتصفه بالأجر، كل صلاة فيه يسبح وعشرين مرة، وسيمشي في الشارع يكاد يهز الأرض تحته من القوة، وسيشعر بذلك الشعور الفطري الذي لم يقدره التظيرات والخطابات والفلسفات، والذي سيعبر عنه بذلك التعبير البسيط الخالق: أحسست أنني أقوى شخص في العالم..

الواحد في الجماعة، بسبعين وعشرين واحداً مثراً،
أي إن كل واحد منهم هو أقوى شخص في العالم.
أو على الأقل هذا ما يمكن أن يحس به.
لا أزعم أنهم ملائكة، لكنني أعرف أن الملائكة
صورة.

ولا أزعم أن هذا يحدث دائمًا...
لكنه يحدث، ومن الممكن (لو سمحنا له) أن يحدث
على الدوام.



بالمناسبة، صدتك هذا، رأيته للمرة الأولى قبل أيام، مع جسم كهذا، وعضلات كهذه، يذهب جداً أن يشعر أنه أقوى شخص في العالم.



ورمضان، بتسهيلاته تلك، يصر الناس جرأً إلى الجماع، في التراويف أو غيرها، يذهبون طلماً في الأجر والمقدرة والمعنى من النار، أو يذهبون، هكذا، بلا سبب، لأنه رمضان، وقد تعود الناس الذهاب فيه إلى الجامع، كما تعودوا على تلك اللعنة الرمضانية الشهيرة التي أكرها كثيراً..

لا يهم، سيذهبون دونما سبب، سيذهبون فقط، لكنه الطعم في الصنارة، كما تعلم، و شيئاً فشيئاً، بدون أن يدرك واحد منهم ما يدبر له، سيجد فيه الأمر، سيسري فيه، بالبعث، ذلك التيار الكهربائي الذي ينتقل من كتف لكتف، ومن قدم لأخرى، سيحس كل منهم بقوة مختلفة تجتازه من الداخل، لم يعد شيطانه قوياً كما كان قبلها، وسيفكر مع نفسه أنه رمضان، وقد قهست فيه الشياطين وصفدت، وأصبحت ضعيفة..

وكما قلت: عندما يتعلق الأمر بالقوة والضعف، فالامر نسبي، هاماً أن الشيطان صار ضعيفاً، لو أنك أنت الذي أصبحت قوياً، واكتشفت نواحي القوة الكامنة في أعمالك.

أو، وهو الأغلب، الاشان مما، ضعف الشيطان - العابر - جعلك تتمكن من اكتشاف قوتك..



ومندما ينتهي رمضان، وتقطع عن الذهاب إلى

المسجد، مستيقظ ذلك دون أن تدري، وستستيقظ من نومك ذات يوم هلعاً وأنت تكاد تتحقق ولموت، ستشعر أن هؤالك أصبح فارغاً، هل أن نفسك الصدرى كله قد هرع فجأة.

وستجده هرماً أن قلبك ثم بعد مكانه.

لقد فقدت قلبك فجأة، وها هي شرايينك تشبع في الفراغ.

وستذهب لتبحث عن قلبك، في الأماكن التي تعودت أن ترتادها، في بيوت الأقارب والأصدقاء حيث ذهبتك في العيد، في ذلك المطعم الذي سهرت فيه، هنا أو هناك.

في البهت بين أكوام الملابس التي تنتظر الغسيل، قرب الهاتف وأنت تنتظر مكالمتهم التي تجيء ولا تجيء؛ متحمساً، دون جلوسي.

تذكر أن تذهب إلى الجامع حيث كنت تذهب قبل العيد، لكن لا تسأل الخادم عن قلبك الذي ضاع، سرهنوك مجثوناً على الأرض، ادخل العرم، وانظر إلى السقف.

ستجده معلقاً هنا، ساطعاً منيراً، موصولاً بذلك التيار الكهربائي الذي يسري بين الأكتاف والمناكب والأقدام..

لتنه يكاد يموت وينطفئ لأنك قطعت التيار، عندما انقطعت عن الذهاب..

هذا على الأغلب، ما عناه ذلك الذي لا يمكن أبداً صلوات الله وسلامه عليه، حينما قال عن رجل يستظل بظل الرحمن، يوم لا ظل إلا ظله..
قال: إن ظلبه كان صلباً بالساجد.

نعم: معلق مثل الشيا الساطعة الموصولة بتيار الأكتاف والأقدام والقلوب..

السؤال العذرين نفسه مرة أخرى، لماذا إذن لا يرجعون؟، ولماذا إذن ينقطعون ويتركون هؤولهم - العلاقة هناك في الصدق - تذويب وتنطفئ وتذوب..
والجواب المعدد نفسه - الذي لا يخفى العذرين - ربما حاولوا الرجوع إليه، ولكن الشيطان كان هناك كعادته، (وَرَأَيْتَ لَهُمُ الْشَّيْطَانَ أَفْنَانَهُمْ فَسَدَّهُمْ عَنِ الْسَّبِيلِ) لعنكم ٢٠٢٠

صدتهم عن السبيل، وصلّق عليهم إبليس ظنه..

☆ ☆ ☆

ويقولون من ذاق حرف، ومن عرف افترف..
لماذا إذن، بعدهما ذاقوا وعراها، لم يغترفا، بل لم يقتربوا أصلاً من جديد؟..
كيف يحدث ذلك؟.. كيف يمكن أن يحدث ذلك؟..

إنها المأساة الإنسانية نفسها تكدر باستمرار.
مأساة الغباء الإنساني في استبدال الذي هو أدنى
باليقظة هو خير .. (لَأَنَّ تَتَبَلَّغُ الْأُذْنِ هُوَ أَذْنُ
بِالْأَيْمَنِ هُوَ أَعْدَى أَفْيَطُوا يَضِرُّ كُلُّ نَعْمَ مَا سَائِرُ
وَصُرُّبَتْ حَلْبَهُ لِلْأَلْأَلِ وَالْمَسْكَنَةُ رَمَادٌ وَيَنْتَهُ فَنَّ لِفَوْ) العدد ٦١٢.

رغم أنهم فاتروا، وعرفوا.. حدث ذلك..

☆ ☆ ☆

أتسمى، إذا لم يكن رمضان هو الذي سيجعلك
تتنوّق، تتعرّف.. ومن ثم تفترّف، فماذا إذن؟
وإذا لم يكن رمضان هو الذي يجعل الصنارة تعلق،
فماذا إذن يا ترى؟

وهل متعلق أصلًا بشيء؟

وإذا لم يكن رمضان هو الذي سيجعلك جاراً للنهر
الجاري العذب، بباب دارك، وسيجعلك تغسل طه، فلا
أعتقد أن هناك شيئاً آخر سيخلصك من المستنقع
الأسن الذي هو بديل..

وإذا لم يكن رمضان هو الذي يجعلك تشعر بذلك
أقوى شخص في العالم، فأخضه أنك ستكون أضعفهم
وأكثرهم ترددًا وهزيمة..

وإذا لم يكن رمضان هو الذي سيجعل قلبك معلقاً

- كالثروا السابعة - في سقف المسجد، موسولاً بذلك
التيار السري الساري الذي سيغير ذات يوم العالم
بأسره، فماذا إذن سيحل بقلبك؟..

واجهه نفسك، ظناً واجه أنفسنا جميعاً، إذا لم يكن
رمضان هو الذي سيخرجنا من مشاكلنا، هل إلى
خروج من سبيل؟..

واجهه نفسك بهذه الحقيقة، أو ظناً واجه أنفسنا
جميعاً، لا مجال للتأجيل، إنه (بروفة) المشهد النهائي.
إذا لم يكن رمضان هو الذي سمحتم أمرك، ويقتل
هذا التردد والتذبذب والكسيل، وينفذ همتك،.. هلا
أظن أن الأمر سيختلف فيما بعد: سنظل كما نحن،
كل رمضان نتقدم خطوة، وبعدها؛ كما كنا، يعني
ذلك عملياً شهر خطوات إلى الوراء..

ظننت: إذا تذوقنا وصرفنا، ولم نفترف، هل عفنا
واصرفنا على استهلال الذي هو أدنى بالذي هو خيراً،
إذا تركنا المئ والسلوي، فسندفع ثمن ذلك غالياً:
بسلاً وثوماً، دلة ومسكمة وغضباً من الله.

ظننت: إذا لم يكن رمضان سينفذنا فماذا إذن
يأتى؟.



لكن الطعم في الصنارة لم تنته محتواياته بعد..

لا يزال فيه شبه مغير جداً، وجذاب جداً. (لو كان الناس يفهمون).

لا يزال في الطعم بقية كافية لأن يجعل الناس يستمدون فيه فlux يغير حياتهم، وينفذهم مما هم فيه..

لا يزال الطعم، بعد الصلوات الخمس، بعد صلاة الجمعة، فيه شبه أكثر، ممكن أن يجعل الناس يتذوقونه - فقط لأنه رمضان - لكنهم بعدها لا يتركونه أبداً..

ربما سيتذوقونه في رمضان، لم يصير فيما بعد وجبتهم الأساسية التي لا غنى لهم عنها..

☆ ☆ ☆

رمضان يستطيع أن يجعلك تشعر بأنك من النخبة..

رمضان يستطيع أن يجعلك تحس بأنك من الصفة العلية، من تلك الطبقة الأعلى في المجتمع..

مجتمع النخبة..

رمضان سيعملك لتنتهي لهرلاد الأفراد المحظوظين،.

الصفوة..

☆ ☆ ☆

٢.

ليسوا المشاهير على صفحات المجتمع في المجالات.
ليسوا أفراد الجت ستة أولئك الذين يشتتون في
مارينا وصيفون في الكوت دازور ويتسوقون من باريس
ويكتسون الأموال في جنيف.

٣.

ليسوا أولئك الذين يختارون ألوان ملابسهم
لتجمّع مع ملابسهم، وينفقون على دعوة غداء ما
يكتفي لاطعام قبيلة من الجماع لمدة سنة، وينهرون
شيقاتهم وعشاقهم بأسرع مما يغيرون أحذيتهم.

٤.

ليست الشقة في الطابق التسعين في مانهاتن، ولا
اليخت المركون في كان. ولا الملابس من دبور وشانيل
وكاردان..

ليسوا أولئك المساكين، الوحدين رغم الزحام
حولهم، النساء رغم الضحكات الزائفة حولهم،
المتفقين في أصقاع شهريهم، المسؤولين خلف قضبان
تراثهم المكهربة، المعزولين إلا من حراسهم
الشخصيين..

ليسوا أولئك الذين (يُتَكَوَّنُ ظهراً فِيَّ لِلْبَرَّ الْأَثْبَانِ
وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُرَّ عَنْقُلَوْنَ ①) (لعربي ٢٠٠٧).

ليسوا أولئك هم النخبة. ليسوا الصنفوة، ليسوا
الطبقة العليا..
رغم بريق (الفلاشات) حولهم، رغم الأنوار
السامطة المسلطة عليهم..
ليسوا همها.

★ ★ ★

عن آخرين، لديهم نور ساطع يمشي معهم.. عن
نور تام سيكون معهم يوم الظلمة التامة.
عن بريق آخر، غير بريق (الفلاشات) المتلاطحة
المتوترة؛ بريق آخر ينبع في العيون، بريق يتراوح بين
الانتعاش والطمأنينة، ويجمع بين اللذة والراحة..
لألا، ليسوا على صفحات المجالات ولا على أخلفتها..
لن قاتب لأخبارهم وصورهم وسائل الإعلام..
لكنهم النخبة - الصنفوة..
إنهم أولئك الذين يجب الله أن يوظفهم كل فجر،
ليذهبوا إليه..

★ ★ ★

تخيل فقط!

- من بين مليارات البشر، هناك هذه معيضة -
محذودة جداً للأسف في الوقت الحاضر - يجب الله

ايقاظها هجر كل يوم، لتهذهب إليه وتصلي له. في موعد ماري يكاد يكون مثل مواعيد المشاقق الليلية.. كما يذهب العشاق سراً إلى مواهيدهم، يتسلل هؤلاء أيضاً بهدوء، يمشون في ظلمات مستشهد لهم فيما بعد، ونورهم يمسى بين أيديهم، ويهبّون إليه في رحلة قد تكون بعيدة.

من بين الملايين من الذين قد يكونون في تلك اللحظة ثملين، مغموريين..

ومن بين الملايين من الذين قد يكونون في تلك اللحظة غارقين في شهوة ما..

ومن بين الملايين من الذين قد يكونون غاطسين في سبات عميق، في غفلة عميقة! هي جوهر حياتهم كلها..

من بين كل هؤلاء، يختار الله هذه معينة محدودة - لا أستطيع أن أجزم بذاتها، فلنكن متفائلين عندما نقول: ١% - يواظبون من نومهم..
والله يذهبون..

طبقة الـ ١% تلك، هي النخبة حقاً.
ورمضان يستطيع أن يحرك إليها..

☆ ☆ ☆

وهؤلاء أيضاً يكونون مشهورين جداً شهرة عظيمة

وذهابه، أكثر بكثير من أولئك الآخرين الذين يعلمون
ظاهراً من الحياة الدنيا.

إنهم مشهورون جداً، ولكن بشكل مختلف.
إنهم مشهورون بين الملائكة، بين الأنبياء، وبين
الصديقين.

إنهم معروضون جداً في السماءات السبع. ليس هناك من لا يعرفهم فيها. حتى جبريل: أمين الوحي والرسالة يعرفهم..

أخبارهم هناك منتشرة، والكل يتابعها ويكتبهما،
وإذا ما تغيب أحدهم عن الذهاب إلى صلاة الفجر،
فالكل يسأل عنه باهتمام، وإذا ما تكرر الغياب فسيتم
التلقي الحقيقى والصادق.

واذا حصل وانقطع أحدهم تماماً هنالك الملايين
هناك ستحزن، وربما سهلن العداد في السماوات
السبعين، وسيعامل الموضوع كما لو كان فحصة حب حزينة
انتهت بالفراغ، وكيف يستطيع حقاً أن ينقطع عنها
من جريها، وكيف يستطيع أن يمتنع عن الذهاب من
برتقائه الله ..

وكمف يترك النخبة - طبقة الصنفوة المتنحاة - من
انتهى إليها، وعرف ملذاتها، وذاق برقيها وتقعم
بنعيمها ..

وهم فوق تلك الشهرة، أثرياء جداً، كما يليق بطبقة الـ ١%.

ربما ملائتهم ليست من (ديور)، وربما يذهبون شيئاً على الأقدام إلى المساجد، وربما لا يكادون يذيبون أمور معيشتهم، لكنهم أثرياء جداً، وثراوهم لا تخفيه المصادر السوية ولا حساباتها السرية، ولا خزانتها الواسعة، ولا أقبتها المدرعة المخصصة للمجوهرات النادرة..

ربما لا يedo ذلك عليهم - وبعض أثري الأثرياء لا يedo عليهم - لكن عندما تتحقق الحقيقة هنالك الذين يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا سيكونون مخلصين يوم القيمة، وستراهم وهم يتسللون حسنة من هنا وحسنة من هناك..

أما نخبتنا الأخرى، فستراهم وهم يرثرون بالعز والرهاق، وفي تلك الظلمة سيعتبرون بها البشر في ذلك اليوم الرهيب، سيلقى أولئك الذين مشوا إليه في الظلمات ما وعدوا به؛ النور النام يوم القيمة..

إنهم تلك النخبة سعيدة العظمة أولئك الذين يحب الله سبحانه وتعالى إيمانهم..



نعم إنه هو الذي يوقظهم.

لا تصدق الساعات المنبهة الموقعة على صلاة الفجر.. إنها موجودة فقط من أجل الأخذ بالأسباب،
موجودة فقط من أجل طمانينة القلب..

ولا تصدق أنه التعود، ومن عودهم أصلًا على ذلك
ان لم يكن هو..

واذا قالوا الهرمونات والغدد والأطوار الدماغية،
هليكن ذلك. إنه الله وطريقه المعجزة الفامضة.

إنه هو الذي يوقظهم، عرف دواخليهم هاكرهم.
نظر في قلوبهم ورأها تستعير أن تكون من تلك النخبة
التي تذهب إليه في ذلك الموعد اللهي المتأخر؛ موعد
الحب الحقيقي.

علم أن عيونهم قد تنام، أما قلوبهم فلا، تظل
ساهرة وتنتظر الإشارة منه، وبينما تروح أعضاؤهم
الأخرى في راحتها الفسيولوجية، فإن قلوبهم تعاني
قدماً وتبس على اتصال دائم به..

وعندما تأتي الإشارة منه عز وجل، يتحرك القلب
ونقر على الرأس نقراته الموقعة المميزة.. ليوقف
الأعضاء..

نعم، يحدث ذلك، هل إنه كثيراً ما يحدث، ويميز
أولئك المنتخبون بذلك، أحياناً - لسبب أو لآخر - لا تدق
الساعة، أحياناً لا تكون أصلًا منصوبة، وأحياناً يكونون

مرهقين جداً هينسون توفيتهما، وأحياناً لا تكون هناك ساعة، وكل شيء يبدو كما لو أن الصلاة مستفوتة.. وتکاد تموت هنالاً، لكن عيونهم تنام، أما قلوبهم فلا... وضجاء تأتي تلك التقدرة الخفيفة على قاع الروح. تلك الضربة المؤقتة القاتمة، هيرونون من نومهم مدحورين، يکاد أحطى موعد أن يفوتهم. ويهرونون في الظلمة متغشرين ببقايا نومهم وبملابسهم وبوضوئهم، ويلاحقون الموعد في اللحظة الفاصلة، قبل أن يفوتهم..

ليس هذا نادر العدوى، على العكس، وكما قلت: إنه كثيراً ما يحدث..

لقد نظر إلى قلوبهم فعلم ما في داخلها، وأيقظتهم.. هو الذي أيقظهم.. هبوا ولدوا وهرولوا..

☆ ☆ ☆

وإذا حدث أنهم لم يستيقظوا، فلن تخيل الأسى والكآبة التي سيواجهون بها بقية يومهم..

شيء مرير، كالعلقم سيظل طعمه معلقاً في أفواههم..

شيء أكبر من الندم، أقوى من الحسرة، سيظل هناك في لاوعيهم، يعذبهم بطريقة شريرة، كلما صادفهم عارض أو مشكلة، هزوا رؤوسهم مع أنفسهم، وقالوا: نعم، لقد أخلفنا الموعد..

لا شيء مسموح ذلك إلا الموعد التالي.

إنها وجبتهم الأساسية، لا غنى لهم عنها، ستظل أرواحهم جائعة، لا شيء يشبعها من بقية الوجبات التي ستبدو هزيلة مقارنة بموعد العشق الليلي الذي أخلفوه.

وكما (الكافيار) وجبة النخبة المترفة الأساسية، فإن الفجر وجبة هؤلاء الأساسية، ودونها سيكون الجوع.. وسيظل ذلك الجوع في أرواحهم، يأكل قلوبهم حسراً وندماً وألمًا، ولأن ذلك سيكون حقيقياً وصادقاً، ولأنه نظر في قلوبهم وعرف بوجوده.. فإنه صيروقطفهم..

☆ ☆ ☆

فلا تقل أبداً - ولا يقل أحد ولا أقل أنا - : إنك كنت متعباً جداً ظلم تستيقظ.

لو كنت جاداً، لأنفك جداً إلا تستيقظ.

لو كنت جاداً، لنامت عيناك وبيبة أعضائك، لكن هلبك كان سيظل ساهراً ينتظر.

أقول لك، ونعني أحق أن أقول لها: لو كما جادين، لأيقطتنا تلك اللمسة القاتمة التي نعرف مصدرها، تلك التقرة الخفيفة - كالصداع - التي تفتر على الرأس، تلك الضربة الخفية التي تقع قاع الروح.

لو كنا جادين، لا يقتطنا، هو الذي يعلم دواعلنا،
ويننظر في قلوبنا.

لو كنا جادين، لا يهاننا في تلك الطبقه - النخبه -
التي يختارها ليوقظها ولتكون هناك في ذلك الموعده..
ولو كنا جادين، لا تعينا جداً أن ننزلق عن ذلك
الاختيار..

☆ ☆ ☆

ورمضان يجر الناس جراً ليكونوا من تلك النخبه..
ليجربوا لذة ذلك الموعد وأسراره، وليسطع عليهم
ذلك النور التام من المشي في الظلمات.

مثلاً هناك فقرة السحور والترغيب بتأخيره، الأمر
الذي يعني أن توهيت الطعام سيكون متاخماً جداً
لوقت الصلاة.

وهو أمر سيعجل النوم المباشر صعباً بعض الشيء:
مع ثقل الطعام وشهوات التجشؤ.

ورهبة الفجر والظلمة مكسورة في رمضان،
فلم اذا إذن لا تصلي في الجامع؟.

ويذهبونا.

ويدلأ من أن يذهبوا إليه ولو حبوا، فإنه يكاد يأتي
إليهم حبوا.

إنه الطعام في الصنارة.

القطنم الذي قد يصير ظيماً بعد وجوبهم الأساسية.



السؤال المزین نفسه.

والجواب المعقد نفسه..



والقرآن..

أقول لك منذ الآن. لا تتعامل معه كالمراهق اليهودي، لا تقف منذ أول يوم في رمضان وتقول: جزء كل يوم، والخطمة المعتادة نهاية الشهر.

لو كان ذلك ينفع، لنفع.

أقول لك: لا تضع حدوداً ولا حواجز ولا عوائق أمامك..

إنما وضعت التسميات - إلى أجزاء وليس أحزاب - لتسهل الانطلاق (في الحفظ) لا لتفتيه..

فانطلق إذن.. كالمهر الطليق في هراري الضباء.. لا حواجز ولا عوائق..

انطلق بلا حدود أنها الفارس العتيق، واستقل أن الخيول تجهل قوانين المرور..

لا (قف) ولا (تمهل) لا (طريق وعر) ولا (معنى خطأ) ..

وحلق ذهنه حالياً، لا تدع النسر الرابض على كتفيك
يتقادع..

لن يبرهنك الفعلين صموداً، بل سيريحك في كل مرة
أكتش

دمعه يتقدم في مجاهلك وأغوارك وعقولك
ومخاولتك..

دمعه يطرد الخفافيش التي عشمشت منذ أجيال في
زواياه..

دمعه يطرد - بنوره - تلك الظلمة الكثيبة.. وذلك
الحزن المقيم..

ادفع له نوافذ قلبك، أزح الستائر المسددة والأغصان
المتحمة..

انقض برياحه الغبار المتراكم على صماماتك،
ولتقمد الشمس نفسها في حياتك..

ظيق قسم - كما الربيع - ليكون هلالك الأساسى
والنهائى، بعد ما تعاقبت على حياتك الفصول؛ فصل
الزهور، فصل الخيبة، فصل اليأس، فصل العيوب،
دوالهلك..

ليكن ربيعاً لقلبك؛ تزهر فيه الأغصان العبراء..
وتغضر الأرض القاحلة..

وتعلق النوارس فيه صرخات العودة..
أقول لك: دعك من حسابات المرايا الهمودي وخذ
الأمر بشكل شخصي جداً.

اعتب أنه قصة حياتك، وبين دهليزه اعرف
لتتفرق..

هل لنفسك: نعم، هنا وضعك الله في الاختيار، هنا
ضلال، هنا أزلال الشيطان، وهنا آخر جك من الجنة.
وهل لنفسك: وهذا هداني الله، هنا حدت إليه،
وهنا تبنت إليه وطرقت أبوابه، وهذا ثالثي رضع لي
أبواباً ما أغلقها قط.

وهل لنفسك: وهذا سوف أهاجر، وهذا سوف أصبر،
وهذا سوف أوجه وجهي إليه، أسلم نفسي إليه،
وهذا سوف يعزني بعد ذلة، ويقويني بعد ضعف،
ويُشفيّني بعد حاجة..

ليكن قصة حياتك، تستكشف فيه ما سيطلع لك..
ويكتب الم俊مون دوماً لكن يصدق هو..

اقرأه بلهفة من استطاع أن يطلع على الغريب ويريد
أن يعرف ماذا سيحصل له..

ليكن شخصياً جداً، لكن أسباب تزوله، أسباب
صعودك.

عندما تقرأه دعه يقرئك..

لا تدعه كتاباً على الرف، ليكن مفتاحك ودرعك
ووسادتك ويوصلتك ورادارك..

ولا تكن بخيلاً على حياتك؛ هتعدد وتقسم، ولا
تقرأ بعدها إلا جزءاً واحداً كل يوم..

بل انطلق، كالمهر العر، في البراري الفسيحة.

وليكن الأفق صرتك ولعمالك..

☆ ☆ ☆

وإذا لم يسعط ريعه على قلبك، فمن تراه في النهاية
سيور قبرك؟.

☆ ☆ ☆

وإذا لم يكن رمضان هو الذي يجعلك تكتشف في
القرآن قصة حياتك، وتقرأ فيه مصيرك وتتجد فيه
قرارك، فإني مناسف. أظن أنك لن تجد شيئاً في
حياتك.

☆ ☆ ☆

وأقول لك: وهذه أول مرة يمر عليك رمضان وأنت
(غير شكل)، هل يكن رمضان هذه المرة إذن (غير
شكل)..

☆ ☆ ☆

ولا يتهمي رمضان أبداً واستدراجهاته..
وهي - أيضاً - معجزة قعدي باستمرار، وتتكرر
باستمرار، في ليلة ما من لياليه..
وقد حصلت لي شخصياً في العام الفائت،لكني لن
أتحدث عن ذلك الآن، ربما في المرة القادمة (إذا كان
هناك وقت ملحة قادمة) ..

☆ ☆ ☆

وأقول لك: هات رأسك، هاته..
رأسك المشوش مثل خلية نحل، المضطرب مثل كرة
صوف..
هاته وضعه تحت الماء في المفصلة..
ظيفسل رمضان بالماء البارد رأسك ويرحله من
همومه..
وأقول لك: هات صدرك.. هاته..
صدرك المتعب مثل محكوم بالأشغال الشاقة المزددة
منذ ألف عام، المنغوب بالهموم مثل جثة محكوم
بالاعدام رمياً بالرصاص لم يمت بسهولة..

هاته، ودع رمضان يفك الأغلال، ويقص
القضبان.. ويرتقى الثقوب..

هات قلبك، منفحة السجائر وخزانة الهموم،
أخرجه من قفصك الصدرى، اغطسه في الماء جيداً..

ثم جفّه بما لن تجد في البيت ما هو أنظف منه،
قطاء رأس والدلك عند الصلاة..
جفّه جيداً.. ثم سلمه لرمضان..



**المهم في رمضان ليس رمضان نفسه. بل ما بعده
بالتأكيد..**

هالمسألة المهمة هي: هل ستركت رمضان أثراً عليك،
هل تنوقت وعرفت لتفترف، أم إنك مستعود - كما
كتت - لحياتك السابقة؟..

هل ستركت رمضان أثراً، هل سبّحت فرقاً، أم إنه
شهر وكفى، وبعدها تعود لصديقك القديم: إبليس
ورفاقه؟.

لذلك أقول: نتش عن رمضان بعد رمضان..
هذا كدت تجد أنك بعد رمضان، قد اقتربت من
الله خلوة، بتلك الطاعة هنا ويترك تلك المعصية
هناك، فاعلم أنه كان رمضان..

أما إذا لا، وهى كما كتت: المعاصي نفسها والغفلة
نفسها، فاعلم أنه لا رمضان في تلك السنة..
للأسف: لقد فاتك رمضان..



صيحة العيد.

وأنت تقف أمام المرأة، لتنانق في ثياب العيد..
وأنت تعرض على التفاصيل التي ستظهرك في
أبيهى صورة؛ تناقض الألوان.. الباقة المنشاء.. طيبة
الثوب المكونية..

كل شيء.

أقول لك: احرص أكثر، ودقق أكثر، وتأمل في المرأة
أكثر.

اغرق في تفاصيل الأنافة، ليس في ذلك ما يعيب.
ولكن هناك تفصيل واحد لا تتجاوزه.

أقول لك: تأمل في رقبتك، تحسها، مد أصابعك واتزل إلى
القطائعا مع كتفها..

حدق فيها جيداً، وتحسس أكثر، وتأمل أكثر،
وتساءل في صيحة العيد وأنت أمام المرأة: هل اعتدت
هذه الرقة من النار؟ أم أن الأغلال لا تزال تصلبها
وتتشدّها إلى جهنم؟.

هل تحس أثارها الغليظة على رقبتك؟ هل تسمع
صوت خشختها إذا انتقت يميناً ويساراً وهزّت
رأسك بشدة؟

هل اعتدك رمضان من النار؟ أم أنك وصلت إلى
طريقها وكنت تتبعو لكن إهادتك إليها عودتك إلى ما
كتت قبل رمضان.

صبيحة العيد، لا يزال ثمة أمل، الأيام التالية هي التي ستحدد بالطبع، وستستطيع أن تعرف منها وضعك بالطبع، هل نجوت أم أنك لا تزال في القمر هناك؟.

الأيام التالية هي التي ستحدد: هل ولدت من جديد في رمضان؟.

أم أن الولادة كانت مهنة، حالة احتضار أخرى؟.

☆ ☆ ☆

على باب رمضان أقف وانتظر مثل أب مفجوع
ينتظر أمام باب صالة الولادة،
جزعاً هلعاً هرزاً ينتظر ويترقب.

وروح وجيه، وروح وجيه، وروح وجيه. حيناء
علقتان يفتحن الباب: تروح وتجيء.

ونفتحنا الباب، فتحة تروح وفتحة تجيء، الناس
يطلون، ناس تروح، وناس تجيء..

والعالم كله يريدو ساكنها بشكل مرعوب، لا يروح ولا
يجيء.

ويظل هو يروح وجيه متكتأ على عكاذين، واحدة
للقلق، وواحدة للأمل..

الناس من حوله لا يحس بوجودهم؛ لا الذين
يحاولون أن يظهروا تعاطفهم معه ومواساته لهم له، ولا
أولئك الذين لا يهالون به..

إنه لا يراهم،
إنه لا يرى شيئاً سوى فتحتي الباب؛ فتحة نروح،
ونفتحة نجيء..

ومن بين كل الأطفال في العالم أولئك الذين ولدوا،
وأولئك الذين لم يولدوا بعد، لا يرى سوى واحد هو طفله، وامه
معه.

أي شيء آخر سبّطوح همباته في الفضاء..
ويروح وجيه، وكله آذان تريد أن تلتفت ما يدور
هناك خلف فتحتي الباب التي تروح وجيه..
ويحسب كل صيحة عليه، ويحار في تأويلها، تراها
صرخة احتضار، أم صيحة ولادة..
ويروح وجيه، ويعلم أنه هذا الأمل الذي يروح،
والقلق الذي يجيء..

وتجاه، وكما لو أنه لم يكن يتوقع، يطل وجه معين
من خلف فتحتي الباب التي ستكتف عن الرواج
والمجيء..

ويعرف أن الدور دوره..
ويكشف العالم عن أن يكون.. يتلاصق وبصير معلقاً
- مثل طير ذبيح - بكلمة ستخرج من هذا الوجه،
لتجمد الدماء في العروق، يخفق القلب خفقة أخيرة
ووحيدة وطويلة مثل إشارة استفالة صادرة عن سفينة
خارقة في محيط خال..

وبيـن الصمت والكلام، وبيـن السـكوت وحرـكة
اللسان، هـناك ستـكون لـحظـة طـولـة كـالأـزل، مـؤـلـة مـثـل
الأـجل.. وـبعـدهـا، سـيـكـون خـبرـ واحد - يـجيـء ولا يـروح
- سـيـنـهـي ذـلـك كـلهـ..

☆ ☆ ☆

وعـلى بـاب رـمـضـان أـقـف أـنـتـظـرـ، وـأـسـأـل تـرـانـا وـلـدـنـا
مـن جـديـدـ هـذـا (الـرمـضـان) .. أـمـ أـنـا لـم نـوـلـد بـعـدـ؟
ترـانـا عـتـقـنـا وـنـجـونـا، أـمـ أـنـا بـقـيـنـا هـنـاك مـحـبـوـسـينـ
فـيـ الـقـصـرـ ..

وعـلى بـاـبـ زـحـامـ، نـاسـ وـلـدـوا مـنـ جـديـدـ، وـكـلـ عـامـ
يـوـلـدـونـ مـنـ جـديـدـ .. إـنـهـمـ يـتـمـسـكـونـ وـيـتـشـبـثـونـ وـيـزـدـادـونـ
ثـيـاتـاـ عـامـاـ بـعـدـ عـامـ ..

وـآخـرـونـ، لـمـ يـوـلـدـوا بـعـدـ، لـكـنـ فـرـصـتـهـمـ لـاـ تـزالـ
قـائـمةـ، وـبـاـبـ لـاـ يـزـالـ مـفـتوـحـاـ، إـنـ بـاـبـ لـاـ يـغـلقـ أـبـداـ ..
وـآخـرـونـ، لـاـ يـهـدـوـ عـلـيـهـمـ أـنـهـمـ سـيـوـلـدـونـ قـطـ، وـلـاـ
يـهـدـوـ أـنـ ذـلـكـ يـلـقـىـ اـهـتـمـامـهـمـ، إـنـهـمـ سـادـرـونـ فـيـ
غـفـلـتـهـمـ وـفـيـ مـوـلـهـمـ الـذـيـ يـجـهـلـونـ ..

وـنـحنـ؟ ..

لاـ أـدـريـ. لـاـ أـزـالـ أـنـتـظـرـ ..

☆ ☆ ☆

وـأـقـولـ لـكـ: مـلـدـ يـلـبـكـ وـسـاـهـمـ فـيـ هـذـاـ الـخـافـضـ ..

ساعد الآخرين الذين لم يولدوا بعد على أن
يولدوا..

مد يديك لهم وساعدهم وانتشلهم من ظلمة
المستنقع الأسن..

ولا تقل لي ما تعودت أن تقوله من قبل: الأمر
أسهل في رمضان..

أبواب مفتوحة وأخرى مغلقة وشياطين مصعدة..
والصنارة.. والظلم..

الأمور أسهل، فأرشد الناس وخذ بأيديهم.. وشارك
في مخاض الذين لم يولدوا بعد..

(إِنَّمَا تَعْذُّبُكُمْ فَمَنْ كَانَ بِنَعْمَتِنَا أَوْ عَلَى مَكْرُورِ
فَوْدَةٍ مِّنْ) البقرة: ١٨٤/٢.

نعم، صحيح، أيامًا معدودات.

لو لم يكن في رمضان إلا هذه الحقيقة يكرسها في
نفوسنا ويوضحها في عقولنا ويجعلها في قلوبنا، لكان
ذلك كافياً جداً..

ولكنني به موظفة..

لو لم يكن فيه إلا هذا الإحسان؛ يجعلنا نحن
بالغ عمر يتقبل من بين أصابعنا، لكان ذلك كافياً جداً.
ولأن رمضان شهر كامل؛ فيتأهل سراً من يشاكل،

وتقصر جهراً من يتضجر، إنه شهر كامل، ثلاثة
ثلاثون يوماً.

لكنه فجأة يدخل من هنا، وينتظر من هناك، وما
تکاد تقول كل رمضان وأنت بغیر حتى تجد نفسك
تعىد الآخرين وتقول: كل عام وأنتم بغیر..

بالضبط.. أيام معدودات،وها هو العيد يأتي
كل مع البصر، وما كان يبيو كشهر طويل مرت كفمضة
عين قبل أن تفهم منه شيئاً.

وبعد أيام معدودات أخرى سيأتي رمضان الذي
ياليه، وبعدها أخرى معدودات وبعدها الذي ياليه..
وهكذا، أيام معدودات ما تعتبره طويلاً جداً، العمر
بأكمله..

رمضان يقبض عليك متلساً بهذا الشعور، يعتالك
أول الشهر وأنت تفك في نفسك: ثلاثة أيام، ما
أطولاها ثم يقتادك إلى ما يبيو أنه الجملة التالية على
الفور: مرت ثلاثة أيام، ما أسرعها!

رمضان يقول ذلك، انتبه، هذا العمر الذي تأمل في
طوله لن يكون فيه النهاية إلا مثل هذا الشهر: أيام
معدودة، تمر بسرعة، ولأنه يأتي من هنا وينتظر من
هنا، وتکاد لا تشعر به وهو يمر كفمضة عين، كل مع
البصر..

رمضان يقول لك: هذا العمل ينبع من أصايلك،

مهما حللت التمسك به ينفلت منك، لا شيء يرهبه، لا شيء يهمنه.

رمضان يقول لك: عمرك كله! هذا الذي هو رصيدهك، هو ماضي أيام معدودات.
عد ههلاً، وقبل أن يفاليك النوم، ستجد أن عمرك قد انتهى..

رمضان يقول لك: رمضان أيام معدودات، وعمرك في النهاية ليس إلا أيام معدودات، وأحلاماً معدودات، وخيبات معدودات، ودراماً معدودات، وصادفات معدودات.

كل شيء فيه قابل للعد والإحصاء، فإذا حدثه لن تجده إلا .. (معدودات).

ومنذ أن تولد، منذ أولى صرخات الولادة، ويأتي أحدهم ليقلب الساعة الرملية، ويبدأ الرمل بالاتساع من الخانة الزجاجية العليا المعلقة إلى الخانة السفلية الفارغة...

وما هي إلا أيام معدودات، حتى تفرغ الخانة العليا، وتختلي السفلة.

.. ويفتهي الأمر.

ويحدث ذلك كله بسرعة جداً، ماض أيام معدودات.

رمضان هو تلك (البروفة) على تلك الأيام المعدودات.

يا صديق،

وأحياناً أحسو عليك، وأنت تعرف أن ذلك من حرصي عليك، وأنا أعرف أن حسوني هذه - أحياناً - ليست عقلانية ولا مبررة.. وأعرف أيضاً أنك قد خطوت - في ثمانية أشهر، هي كل رصيدك الآن - خطوات واسعة، جعلت هذه الأشهر الثمانية أشهرأ ضوئية خارج مقاييس الزمن التقليدية، وعلى الأخص خارج منهوم الصاعات الرملية - للزمن.

لذلك أقول لك: اعذرني. واغفر لي حسوني في بعض الأحيان.

أقول لك: اعذرني، فعندي أن إحساسني بالأيام المعدودات يجعلني في أحيان كثيرة نرقاً متوتراً سريعاً الغضب والتهور.

انتي أشعر بالزمن يقتل من أصابعي - وأيضاً من أصابعك - وأحسن أن وقتي بدأ ينفد - ووقتك أيضاً - وشعوري هذا يشدني من شعري وقصوته، ويجعلني (أحياناً فقط) متوتراً مشدوداً.

ووهي ينفد، ووقتك ينفد، والكلمات تزدحم في فمي، ولا أكاد أجده وهذا لأسطراها على الورق، ولا الشجاعة لأقولها.

وتنزاحم في فمي كلمات لم أقولها، تكاد تخنقني..

ولذلك أتصرف أحياناً بما يبدو من الخارج أنه
مزاجية ونرق وسرعة غضب.
عرفت لماذا؟ لأنني مخنوقي. لأن الكلمات في فمي
تخنقني.

☆ ☆ ☆

وحدي في محطة قطار غامضة ونائية ومهجورة..
القطار الأخير المتعلق منها يكاد يرحل، وأحاول
اللهاق به، أقفز من دكة المحطة العالية وبين قضبان
السكة الحديدية. أركض لألحق به. أكاد ألحق به.
لكنه يسرع، ولا أجده فيه مقبراً تسلك فيه يدي..
وصوت صفيره يكاد يصمني، الدخان المتبعث منه
يكاد يخنقني..
ويكاد يرحل، وأحاول اللهاق به..

☆ ☆ ☆

وأشعر بنفسى مشدوداً على عقارب ساعة هائلة،
تكاثها تكاد تغمر في رأسي، أحسها مثل قبالة موقوتة
محشورة بين تلاهيف دماغي. كل لحظة أقول لنفسي:
ستفجر الآن، ستفجر الآن.
ولم تفجر بعد. لكنني أعلم أنها ستفجر في آن
محظوم..

نعم. الوقت يدركنا معاً يا صديق. وأنت تدرك ذلك

(ربما أكثر مني، لكنني أحسه أكثر منك) وبين إدراكك وأحساسك سيفصل الحكم معلناً انتهاء المبارأة..
نعم. إنها أيام معدودات، مهما طالت سيفصل ذلك.

ولاتي أعرف أن ما حدث منذ البداية لم يكنصادفة ولا اعتباطاً - حاشا لله أن يفعل ذلك - هناني أعلم أن على أن أقول كل ما على أن أقوله قبل أن ترحل، علي أن أؤشر هنا وأن أغرس هناك وأترك أثراً هنا وعلامة هناك.. وإذا لم يحدث ذلك - أعني إذا أدركتني الوقت ومضى قطار الأيام المعدودات قبل أن أفعل ذلك - هناني مأعليك الندم بقية عمري، وسيظل يعذبني ذلك، وسأظل أتعسر على كل ذرة رمل هاتشي وانهمرت من الخانة العليا في الساعة الرملية دون أن أحولها لتصير تربة خصبة.

على أن أقول كل ما على أن أقوله، ليس الذي خيار في ذلك، الأمر أكبر منك، بالضبط كما هو أكبر مني، وعما ظليل، بعد أيام معدودات، سيتغير الشيء الشخصي في الأمر، ويقى ما هو عام.. وتصير هذه الكلمات، والأوراق المعدودات، ليست لك وحدك، وإنست مني وحدي.. وإنما.. من آخرين.. ولا آخرين.. وكل ذلك، في أيام معدودات؛ علي أن أستغلها أجود استغلال.

يا صديق..

كل حياتنا هي أيام معدودات، ولو تأملت الآن قصة حياتك ورحلتك فيها، لوجدت أن الزمن يفقد هيبته مثل متسلل يدور على الأبواب، وكان في أيامه عزيز قومه..

لو تأملت وفتشت، وقطبت وفكترت، لتعجبت: هل حقاً انقضت عشر سنوات منذ ذلك الحدث؟. هل حقاً انقضى خمسة عشر عاماً على ما يبدو كأنه البارحة؟ هل حقاً انقضى عشرون عاماً منذ أن كان كذا؟.

كثيراً ما نقول: كانوا البارحة.

وهذا حق. إنها أيام معدودات، والزمن فيها عزيز قوم ذل..

وبعد عشرين عاماً، ربما سنقول أو سيقول غيرنا الشيء نفسه على هذا الحاضر الذي يبدو اليوم ملؤلاً عريضاً.. لكنه أيام معدودات، والزمن فيها.. عزيز قوم ذل..

وأقول لك: يعد هليل - أيام معدودات، ستحزن حثائقك أنت وترحل، وساحزن أنا أمري وأبقى، وسنحزن - لأيام معدودات - من أجل الفراق، ثم ستأخذنا مطحنة التفاصيل لأيام معدودة أخرى فتنسى أو تتناسى وتذهبنا حياتنا لأيام معدودات أيضاً.

وبيدها، وكما سبّحنا جميع، سأذهب أنا، وستذهب
أنت، وسيحملوننا كلّاً في قابوته، وستعلو أسماؤنا
لاهثات الفم السوداء المعلقة لأيام معدودات.

وسينكي علينا أحباونا وأقاربنا لأيام معدودات على
الأكثر، ثم ستأخذهم مطحنة التفاصيل التي أخذتها
من قبل، وسيجدون في النسيان نعمة لهم عنّا، لأيام
معدودات . وبينما نحن هناك في قبورنا، وقطعاً ياتي
الربيع التالي، سينمو العشب فوق قبورنا، مستقيداً بالتأكيد
من الركبات الضوية التي تحملت أضرارنا إليها ورؤوسنا..
إنه أمر مرعب بالتأكيد.. وأكثر شيء مرعب فيه
أنه حتى لا هرار منه.

☆ ☆ ☆

لكن العشب على القبور لن يكون نهاية المطاف.
حتى النهاية جداً سنتعرض لذلك الاختبار الذي
سيبين هل كانت حياتنا محسنة سعاد ضوئي العشب العابر
وتلذه، أم أنها استطعنا أن نترك إثراً لشعل، واستطعنا أن
لتتع حملها ضربة ثنا ولآخرين من بعدنا.

لذلك أقول لك، ما دام العشب العابر القائم هناك
يترسّد، فلتتحاول أن تتمر شهناً، وما دام الوقت يقارب
شهناً، فلتتحاول أن تكتب، ما دعنا نقدر.

وما دامت رؤوسنا ستكون سعاد ضوئياً للعشب القائم

القاصي فوق القبور هعن ليضاً بالإضافة إلى ذلك حماداً روسياً
للثمرة القاسم لا محالة.

كيف؟ أقول لك: هليتعمل رأسك رامي، ولنكتب
أنا وأنت في أيام معدودات هذه الأوراق المعدودات.
سأذهب أنا، وستذهب أنت، ولكن ستبقي هي،
وست AISL هي، وستخرج ذات يوم هي.

أقول لك بيقين قام: لأنني أعرف أنني اكتبها من
أجله، وسأستوسمها عنده، وهو جل وعلا لا تضيع الودائع
عنه.

أقول لك بيقين، في هذه اللحظة ذاتها وإنما أكتب،
هناك أطفال يولدون الآن سيرون ما أكتب ويزرون
رؤسهم موافقين.. نعم لقد حدث ذلك.. لم يرضيهم الله.
وهناك آخرون، لم يولدوا بعد - ربما منهم أولادك،
سيقرؤون ما أكتب وسيتعاملون معه. وسيرضي
تعاليم حياتهم وحياة الآخرين قرائهم..

وكلاها أيام معدودات، وبائي رمضان، فهكون (غير
شكل) بالنسبة إليهم، وتعلق الصنارة، ويتدوفون
الطعم، ويعرفون لذته، هيفترفون منه بقية أيام السنة،
ويغطسون في ذلك النهر الجاري، وتعلق هلوبيهم
كالثيريلات الساطعة في سقوف الجماعع.. وينتمون لتلك
الطبقة العليا، طبقة الـ ١% التي متزد بالتدريج.
نعم، كلها أيام معدودات، ويحدث ذلك.

ويعدوها، كلها أيام معدودات ويكون ذلك في ميزان حسناطي.

وأيضاً ميزان حسناطي؛ برحمه الله وفضله.
تسألني كهف؟

لا أعرف التفاصيل؛ ما المسؤول بأعلم من العائل..
لكنني أعدل، عندما تلتقي واياهم، لو تلك الذين لم
يولدوا بعد، في ذلك اليوم المحظوظ الموعود، هاني
سألتهم؛ ولعلهم سيفيدونك.

عندما يتعلق الأمر بما سيفيدنا لنا، الذين لم
يولدوا بعد يعرفون أفضل.

☆ ☆ ☆

أتري؟ لأن الأمور تترادح في هسي، هاني وأنا
أتحدث عن رمضان نسيت أن أتحدث عن الصيام.
إنها الحقيقة المرة.. كلما ذلت شهراً غابت عني
أشياء..

☆ ☆ ☆

وقيل أن أنسى: كل رمضان وأنت بغيره..
أهني، كل رمضان ورمضان حقاً رمضان، يا صديق.

**التحويل لصفحات فردية
فريق العمل بقسم
تحميل كتب مجانية**

**www.ibtesama.com/vb
منتديات مجلة الإبتسامة**

شكراً لمن قام بسحب الكتاب

سلسلة ضوء في المجرة ، صدرت بست عناوين :

-كش ملوك

-أدريليان

-يوم ، شهر ، سنة

-الذين لم يولدوا بعد

-تسعة من عشرة

-غريب في المجرة

والسلسلة كاملة من منشورات دار الفكر ..

<http://www.fikr.com>

الموقع الشخصي للمؤلف :

<http://www.quran4nahda.com>

Light in the Galaxy

THE YET, NON BORN

Alladhīna Iam Yūladū Ba'd
Ahmad Khayrī al-'Umarī

سلسلة من الرسائل الطوollaة من رحم المدحورة ،
للتقطة من الأبراج العاجية للوخط التقليدي ، المعمونة
بوزن الواقع وتناس الطبقتين .

إليها رسائل مكتوبة من أهل إنسان ولحد فقط ،
لكنه إنسان حقيقي : قد يكون أبي واحد متا ، بكل
عطائه وحياته وعطائه ورثباته وصبره وشره .

إله إنسان ، عطالي حالم ، وحياته ، لوكات
بعيدة عن الله ، فإنها ستكون كما لو كانت في هرة
سمرولة ومقبلة ونافقة .

ولأنه لا شيء غير إيمان يمكن له أن يغير تلك
الظلمة - فهذا تلك الرسائل تغمره ، للي أن تغمر في
أعماله ، تدعوه ، إلأن يستحضر في أعماله : ضوء
النحوة ..

97841560309471-X

• 978415602394716